ابن العديم الحلبي ومنهجه في الموارد والنقد التاريخي في كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب

ام.د. كريم عجيل حسين و عبد الحكيم محمد نجيب عاصي
استاذ التاريخ الإسلامي المساعد
كلية الآداب – جامعة الأنبار

المقدمة

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين...وبعد.

تعود العلاقة بأبي القاسم كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم العقيلي(٥٨٨-٦٦٠هـ)،مؤلف كتاب بغية الطلب، إلى سنة ١٩٨٧،فقد تيسر الإطلاع أولا على كتابه زبدة الحلب([1])،مختصر البغية،فازدادت الرغبة في الإطلاع على البغية.ثم وقع تحت اليد كتاب بغية الطلب،بتحقيق الأستاذ الدكتور سهيل زكار([2])،فكان العكوف على قراءته ،فازداد التقدير للكتاب ومؤلفه،نظرا لما اشتمل عليه من معلومات غاية في الأهمية،خاصة عن العقود التي عاش فيها المؤلف،والتي شهدت أحداثا خطيرة داهمت مشرق العالم الإسلامي و شرق الوطن العربي،تمثلت بهجوم المغول عليه،واحتلالهم بغداد حاضرة الخلافة العربية الإسلامية،وتوجههم غربا لإحتلال أجزاء أخرى من ديار العروبة والإسلام.

كان لهذه الأحداث صداها في كتاب بغية الطلب ،الذي اعتمد مؤلفه فيه منهجا على درجة عالية من الإتقان.وهذان الأمران هما اللذان شجعا على إفرادنا هذه الدراسة لكمال الدين بن العديم ومنهجه في الموارد والنقد التاريخي في كتابه بغية الطلب.

كان كمال الدين بن العديم علما بارزا من أعلام العروبة والإسلام،سطر بعلمه وعمله وجهاده صفحات خالدات ،أصبحت مثلا يقتدى به،فهو العالم الذي وقف شامخا بوجه الزحف التتري الرهيب،يأبى الذل والهوان،ويرفض إغراءات الأعداء بالمنصب والجاه والمال،وسعى بحماس كبير، لا يخشى سطوتهم ،يثير في قومه عوامل القوة والمقاومة لدحر الغزاة.

لقد حاول التتار استمالته، حين فوضوا إليه القضاء في مدائن الشام كلها،والموصل وماردين ،وفوضوا له أمر الأوقاف،ولكنه طراز متميز من الرجال،لا تثنيه الإغراءات عن أداء واجبه،ولا يهتز للمناصب فينسى مهمته تجاه أمته، التي كانت تمر أصعب الظروف بها ، تحت نير الاحتلال

(١)حقق الكتاب الأستاذ سامي الدهان،ونشر أجزائه معهد الدراسات العربية في السنوات:١٩٥١-١٩٥٤-١٩٦٨.وأعاد تحقيقه الأستاذ الدكتور سهيل زكار بجزأين سنة ١٩٨٨.

(٢)نشرت دار الفكر بدمشق كتاب بغية الطلب بتحقيق الأستاذ الدكتور سهيل زكار سنة ١٩٨٨.

التتري الهمجي.فالتحق بركب الجهاد،من القاهرة،حين وصلها رسولا لملك حلب الناصر الأيوبي،وعاد إلى الشام ليشارك برد التتار عنها.

كتب كمال الدين تاريخه محاولا إبراز دور المجاهدين والمرابطين في ثغر حلب،دون أن ينسى ذكر كل عَلم مر بها،أو ترك بها أثر. فترجم لإعلام من اليونان والفرس والرومان.أما تاريخ حلب في الإسلام فذلك شأن آخر،كرس له ابن العديم الجزء الأكبر والأهم في تاريخه،الذي بدأه بذكر فضائل حلب ، و صفتها وعمارتها وأبوابها وما تغير إلى عهده منها ،وذكر بلدانها التابعة لها،واصفا أرضها وهواءها وأنهارها وماءها .ومن نزل من قبائل العرب بأعمالها ومن كان قبلهم،وفتحها وما تقرر عليه أحكامها. وحشد خلال ذلك ثروة من المعلومات في موضوعات متنوعة لا يستغني متخصص بالتاريخ العربي الإسلامي عنها .

وهو يعني بحلب،جند قنسرين كله،الذي تم تخصيصه في مطلع تاريخ الدولة العربية الإسلامية لحماية ثغور المسلمين من عدوان الرومان،وصار مسرحا لغزوات الصوافي والشواتي للرباط والجهاد والغزو.كانت تتجمع في هذا الجند،الجيوش من كافة أرجاء الدولة العربية الإسلامية،حتى إذا اجتمعت،نظمت وأدخلت للثغور ،للغزو والرباط،أو للانتظام في الحاميات على طول القلاع والحصون في الثغور.

يعتمد كمال الدين بن العديم اسلوبا توثيقا غاية في الدقة، فلا يذكر شيئا في كتابه إلا ويذكر مورده فيه. وقد تنوعت موارده تنوعا كبيرا، وكثرة كثرة تستحق التقدير وتنال من قارئ كتابه الإعجاب، فقد كان ملتزما بهذا المنهج العلمي في توثيق ما ذكره في كتابه، وما ضمنه من ثروة معلوماتية ووثائقية متنوعة في المساحات التي خصصها لتراجم كتابه، التي تفاوتت في مساحاتها تفاوتا ملحوضا،وتميز الكثير منها بالسعة للأسباب المعروفة لقارئ كتابه وللواقف على تفاصيل حياته ومكانته العلمية وللدراس لمنهجه في كتابه وتراجمه(٣)، التي خصص لها الجزء الثاني وما تلاه من كتابه الموسوعة النفيس ،الذي كانت له فيه خطراته النقدية الواضحة على ما أورد فيه من روايات وما أثبته فيه من نصوص، أخذها من مئات من المؤلفات والدواوين والرسائل الوفيرة، التي كانت تحت يده، حينما شرع بتدوين كتابه.

اقتضت طبيعة موضوع هذه الدراسة جعلها في فصلين :أولهما عن حياة ابن العديم ومكانته وآثاره العلمية ،وثانيهما عن منهجه في الموارد والنقد التاريخي في كتابه بغية الطلب.

شمل الفصل الأول أربعة مباحث. جرى في الأول منها دراسة الحالة السياسية في حلب في عهد الملوك الأيوبيين، الظاهر و العزيز والناصر،الذين عاصرهم ابن العديم، وكانت العناية بمظاهر حركتها الفكرية، وأشهر أعلامها،في العلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية والطب والتاريخ والجغرافية والفلك.

(٣) أصل هذا البحث دراسة موسعة بعنوان:ابن العديم (٥٨٨-٦٦٠هـ) ،منهجه وموارده في كتابه بغية الطلب في تاريخ حلب،وهي دراسة تقع بـ ١٩٨ صفحة،حصل مقدمها على درجة علمية جامعية بتقدير امتياز، وهو الباحث الثاني في الدراسة المنشورة في عدد هذه المجلة ،والتي جرت تحت اشراف الباحث الأول فيها .

خصص المبحث الثاني لحياة ابن العديم ، فسلط الضوء فيه على اسمه ونسبه و أسرته ومكانتها العلمية وإفادته من العلماء ورحلاته العلمية وأسفاره ومكانته في الدولة الأيوبية وتوثيق العلماء له ومكانته العلمية .

كانت آثار ابن العديم الحلبي العلمية موضوع المبحث الثالث وهي: رفع الظلم وتذكرته وزبدة الحلب والأخبار المستفادة وضوء الصباح وكتاب الخطوط والوصلة إلى الحبيب في وصف الطيبات والطيب وتبريد حرارة الأكباد وبغية الطلب.

لأهمية كتاب بغية الطلب بين مؤلفاته ولأن هذا البحث معني بدراسة منهجه فيه ، أفرد له المبحث الرابع والأخير من مباحث الفصل الأول.فتم فيه دراسة أهمية الكتاب ووصف المؤرخين له وحجمه ومادته واقتباس المؤلفات التاريخية منه وذيوله ومختصراته.

أما منهج ابن العديم في الموارد والنقد التاريخي في كتابه بغية الطلب فهو موضوع مباحث الفصل الثاني الأربعة. عقدنا الأول منها لاعتماده الموارد وأنواعها وهي المشاهدة والمشافهة والأسئلة والمكاتبة والمؤلفات السابقة،ولأهمية المؤلفات السابقة بين موارده خصصنا لها نقطة رئيسة من نقاط هذا المبحث. وأفردنا المبحث الثاني لأسس المفاضلة بينها ،و هي المعاصرة والمشاهدة وتفضيل المورد الأقدم والتخصص التأليفي.وكانت العناية في هذا المبحث أيضا بطرائق النقل من المؤلفات لديه وتحديده لبداية النقل وانتهائه والدقة في النقل والمقارنة بين الروايات وترجيح الصحيح منها.

جاء موضوع المبحث الثالث، متمما لموضوعات المبحث الأول، فتم فيه تناول شيوخ الرواية عند ابن العديم ،باعتبارهم أكثر موارده ثراءا وأهمية، لأنه أخذ عن شيوخه وعن تلامذتهم أخبارا واسعة عن مترجميه،وعن الأحداث التي عاصروها وشاركوا فيها،وتكتسب هذه المادة من كتابه أهمية كبيرة عند دارسي التاريخ العربي الإسلامي في النصف الأول من القرن السابع الهجري، لأنه لم يأخذها فيها عن كتاب مؤلف وإنما أخذها مباشرة عن رواتها المعاصرين لها وقد لا تتوفر مضامين العديد من هذه الروايات في مؤلفات غيره من المعاصرين له ومن جاء بعده .و تفاوت عدد الروايات التي أخذها عن كل واحد من شيوخه، لذلك ذكرنا أمثلة عمن أخذ عنهم أكثر من ١٠٠رواية ،ومن أخذ عنهم ٣٠-١٠٠رواية وأخيرا من أخذ عنهم دون ٣٠رواية.

كانت عنايتنا في المبحث الرابع من الفصل الثاني بالنقد التاريخي وأنواعه التي استعملها ابن العديم في كتابه البغية،وهي نقد الرجال والتقويم والأحكام ،و أفردنا للتعصب والإنصاف في النقد لديه. وأخيرا تنبغي الإشارة إلى أن هذه الدراسة وإحصاءاتها تعتمد على المطبوع من كتاب بغية الطلب وبتقديرنا أنها تكفي لتقديم أمثلة وافية عن منهجه في موارده في كتابه. والله تعالى الموفق لكل خير .

الفصل الأول

حياة ابن العديم الحلبي ومكانته وآثاره العلمية

المبحث الأول:الحالة السياسية والحركة الفكرية في مدينة حلب في عصر ابن العديم : ألقت الحالة السياسية والحركة الفكرية في حلب، بلد ابن العديم، والبلاد التي كانت على صلات معها، بظلالها على تكوين ابن العديم الحلبي الثقافي والعلمي، وساهمت في رفد نتاجه الفكري والعلمي.فيما يأتي إضاءة للحالتين بالقدر الذي يسمح به موضوع هذه الدراسة:

أولا.الحالة السياسية في حلب في عصر ابن العديم:ولد ابن العديم :

عمر بن أحمد بن هبة الله العقيلي الحلبي في حلب سنة ٥٨٨هـ/١١٩٠م،وتوفي في سنة ٦٦٠هـ/الحادي والعشرين من نيسان ١٢٦٣م(٤).كانت حلب ،في وقت ولادته تحت سلطان الأيوبيين.فقد ولد ابن العديم في السنة قبل الأخيرة من انتهاء حياة مؤسس حكم الأسرة الأيوبية السلطان صلاح الدين الأيوبي.الذي كان يتابع انتصاراته المتتالية على الفرنجة في فلسطين والساحل (٥)،إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى بدمشق سنة ٥٨٩هـ(١٢٦٢م).فقسمت البلاد التي كانت تحت سلطانه بين أبنائه،فبايع الناس في دمشق لأبنه الملك الأفضل أكبر أبنائه(٦).وصارت حلب تحت حكم ولده الملك الظاهر (٧).

حلب في عهد الملك الظاهر الأيوبي :بعد أن شهد الملك الظاهر العزاء الذي ودعت به الأسرة الأيوبية زعيمها، عاد إلى حلب ،وجدد عمارة قلعتها، وحسن أسوارها، واكمل أمورها الإدارية، وأستقدم القاضي بهاء الدين بن شداد وفوض إليه أمر قضائها(٨).

ولكن الصراع المبكر بين أبناء صلاح الدين الأيوبي قلص إلى حد ما من استقلال حلب . فقد بدأ هذا الصراع بين الأفضل ملك دمشق ، أكبر أبناء صلاح الدين، وأخيه الملك العزيز، ملك مصر، اذ دخل ملك حلب في هذا النزاع إلى جانب الأفضل، مستفيدا في توسعة مملكته إلى جبلة و اللاذقية (٩)، في حين خسر حليفه الأفضل ملك دمشق، لصالح عمهما الملك العادل، نائب العزيز ملك مصر(١٠) .

---

(٤)ابن العديم ،زبدة الحلب، ١/ ١٣، (مقدمة المحقق).

(٥)ابن العديم،زبدة الحلب،١٠٣/٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٢٥،٣٢٦/١٢ ، أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين ،١٢٥/٢-١٣٧،ابن الأثير، الكامل في التاريخ،٧/١٢-٢٣،ابن واصل،مفرج الكروب ،٢٥٢/٢-٣٧٤.

(٦)الملك الأفضل:علي بن صلاح الدين(٥٦٥-٦٢٢ هـ)،ملك دمشق مدة ثم صرف فترة اخرى.توفي في سميساط.ابن واصل ،مفرج الكروب،١٥٥/٤.

(٧)الملك الظاهر:غازي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب(٥٦٨-٦١٣هـ) ،من ملوك الدولة الأيوبية،ولاه والده حلب سنة ٥٨٢هـ.حضر معظم المعارك التي خاضها والده .وعندما قسمت مملكة السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٩هـ، بعد وفاته بين أبنائه ،أصبحت حلب أيضا من نصيبه، الى أن توفي سنة ٦١٣هـ، فدفن في قلعتها.كان الملك الظاهر حازما مهيبا،عمرت دولته بالعلماء والعظماء.ابن خلكان،وفيات الأعيان،٤٠٢/١،ابن قاضي شهبة،ذيل الروضتين، ٩٤،ابن الأثير،الكامل،١٢٠/١٢، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،٥٥/٥،سبط ابن الجوزي،مرآة الزمان ،٥٧٩/٨.

(٨)ابن شداد:ابو العز يوسف بن رافع بن تميم الأسدي الحلبي(٥٣٩-٦٣٢هـ)،ولدبالموصل وسمع ببغداد والنظامية ثم عاد الى الموصل ودَرس فيها،واتصل بالسلطان صلاح الدين وحضي عنده،فولاه قضاء العسكر وقضاء القدس.أتصل بعد وفاته بولده الظاهر غازي،فولاه قضاء حلب ونظر أوقافها، وأجزل له العطاء، كان ذا علم وصلاح، صنف كتبا عدة منها:"سيرة صلاح الدين"،النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية،وهي مطبوعة متداولة.ابن خلكان، وفيات الأعيان،٨١/٦،ابن قاضي شهبة، ذيل الروضتين،١٦٣،الذهبي، ١٤٥٩/٤، ابن كثير، البداية،١٤٣/١٣، ابن العماد الحنبلي،شذرات الذهب،١٥٨/٥،ابن المستوفي، تاريخ أربل، ٣٧٦/٢.

(٩)مدينة في ساحل بحر الشام،تعد في اعمال حمص،وهي غرب جبلة ،بينهما ستة فراسخ.(الفرسخ نحو ستة كيلو مترات). ياقوت الحموي،معجم البلدان،٥،٦/٥ .

(١٠)العزيز:عثمان بن صلاح الدين(٥٦٧-٥٩٥هـ)،ملك مصر،عرف بالسماحة والكرم والعدل.ابن واصل،مفرج الكروب،٨٢/٣،ابن الأثير، الكامل،٢٣٦/٩،ابن العديم،زبدة الحلب،١٣١/٣.

وبالتدريج، أصبح العزيز الرجل القوي في المملكة الأيوبية كلها، فخطب له الظاهر ملك حلب ، وضرب السكة باسمه ، فعادت الوحدة من جديد للدولة الأيوبية بقيادة العزيز ، وعادت الوحدة قادرة على الوقوف أمام هجمات الفرنجة(١١). إلا أن موت الملك العزيز عام ٥٩٥هـ ،وتولي ابنه الصغير الملك المنصور محمد بعده، أعاد الصراع من جديد ، مع أتابكة الملك الأفضل. الذي حثه الظاهر صاحب حلب،على إسترجاع دمشق، وساعده على ذلك، فعاد النزاع من جديد بين الأيوبيين ، إلا أن الملك العادل أخو السلطان صلاح الدين استطاع أن يتبوأ مركز الزعامة في الأسرة الأيوبية ،وقطع دابر الفتنة ، وأعاد الوفاق والوحدة من جديد للدولة(١٢).

ورغم إن العلاقة بين الظاهر ملك حلب ، وعمه العادل ملك مصر ودمشق، لم تسر على حالة واحدة ، فقد اعتراها الوهن والضعف والولاء والعداء(١٣). إلا أن علاقة الزواج التي توجت الصلة بينهما جعلت حالة السلم بين الطرفين هي الأقرب في أكثر الأحيان(١٤).

على أن الصراعات بين ملوك الأسرة الأيوبية لم يشغل الملك الظاهر عن القيام بالإصلاحات المدنية في مملكته ، والعمل على تأمين النمو والازدهار لها ، فقد أجرى القناة المائية من حيلان (١٥) إلى حلب وقسمها في البلد ، بواسطة أقنية ، وقام بإصلاحات عديدة أدت إلى الرخاء في قصبة حلب ، وازدهارها وتطورها عن غيرها من البلدان المجاورة(١٦).

رعى الملك الظاهر العلماء والأدباء ، وبنى المدارس فازدهرت حلب في عهده ، واستقطب الشعراء والأدباء ، والعلماء. وظهرت مظاهر الترف والإسراف في ملكه ، واحتفل بولادة إبنه العزيز احتفالاً كبيرا لم يكن معهوداً في الدولة الأيوبية من قبل(١٧).

حظي ابن العديم بمكانة متميزة عند الملك الظاهر، حدثنا ابن العديم عنها فقال : " وكان الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب رحمه الله كثير الإكرام لي ، وما حضرت مجلسه قط ، فأقبل على أحد إقباله علي مع صغر السن"(١٨). وألف له ابن العديم كتاب الدراري في ذكر الذراري، وقدمه له يوم احتفاله بولادة ولده العزيز(١٩) .

---

(١١) ابن واصل،مفرج الكروب،٧٠/٣، ابن كثير،البداية،١٦/١٣.ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة، ١٢٠/٦وما بعدها.

(١٢)ابن العديم،زبدة الحلب،١٥٣/٣. ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،١٦٠/٦وما بعدها.

(١٣)ابن واصل،مفرج الكروب،٢٠١/٣.

(١٤)ابن العديم،زبدة الحلب،١٦٦/٣،١٦٠.

(١٥)بالفتح من قرى حلب ،تخرج منهاعين فوارة كثيرة الماء،تسيح الى حلب ، وتدخل إليهافي قناة،وتتفرق الى الجامع والى جميع مدينة حلب.ياقوت الحموي،معجم البلدان،٣٣٢/٢.

(١٦)ابن شداد،الأعلاق الخطيرة ،قسم حلب،١٥/١٠.

(١٧)ابن واصل،مفرج الكروب،٢١١/٣.

(١٨)ياقوت الحموي،معجم الأدباء ،٥٢٩٥/٦،٣٧٨٩/٣٩-٩٠(الموسوعة الشعرية) نقلا عن ابن العديم.

(١٩)الكتاب مطبوع في مطبعة الجوائب بأستنبول،د.ت. وهو عبارة عن نصائح في تربية الولدان.

وحين توفي الملك الظاهر سنة ٦١٣هـ، أُستخلف ابنه العزيز، رغم صغر سنه ، وجعل اتابكه شهاب الدين طغريل(٢٠)مرتباً لأمره في القلعة ، وأرسلت نسخة اليمين منه إلى الملك العادل،صاحب مصر ودمشق(٢١).

حلب في عهد الملك العزيز الأيوبي:تملك العزيز حلب وعمره ثلاث عشرة سنة . فقام أتابكه شهاب الدين طغريل في جميع أموره ، فانتظمت حلب أعظم إنتظام ، وحسنت العلاقة، بين العزيز وجده الملك العادل، الذي سير له خلعة ، وحلف له يمينا(٢٢).

انتقلت الخطبة في حلب بعد وفاة العادل لإبنه الملك الكامل (٢٣) ،الذي أرسل إلى العزيز الخلع السلطانية ، وتقليد السلطنة وأستمر الوفاق بينهما حتى ساهم جيشاهما في إنقاذ دمياط(٢٤)من الفرنجة ، وساعد الملك الأشرف أيضاً في أرمينية(٢٥).

وفي عام ٦٢٥هـ بلغ العزيز سن الرشد، فتسلم الحكم ، وأعاد سيرة أبيه ، في إكرام الفقهاء والعلماء ، وحضور مجالسهم . وتزوج ابنة خاله الكامل بن العادل . وساعد ذلك على استمرار الوفاق بين حلب ومصر ، ولاشك ان جهود طغريل وخدماته الجليلة أثمرت في بقاء حلب في ملك أبناء الظاهر(٢٦).

ولم تلبث حلب أن تابعت نشاطها العسكري،فساعد جندها الأشرف في استعادة مدينة خلاط، وأغار على الفرنجة وأطلق سراح أسرى المسلمين،وحاصر شيزر وتسلمها. وساعد العزيز الكامل في حربه مع الروم،وبسبب هذا نظر الكامل بعين الرضى إلى تملك العزيز لمدينة البارة(٢٧).

ولم يطل الأمر بالعزيز فمرض وتوفي عام ٦٣٤هـ،وعمره ثلاثة وعشرون عاما، وتملك بعده حلب ابن ابنه الملك الناصر،آخر الملوك الأيوبيين فيها،وعمره سبع سنين(٢٨)،فتولت القيام بشأن أموره جدته ضيفة خاتون بنت الملك العادل (٢٩).

---

(٢٠)كان أتابك الملك العزيز محمد ،ممن خدمه بإخلاص،ونصح له وعرف بتقواه وبعد نظره. توفي سنة ٦٣١هـ.ابن واصل،مفرج الكروب،٣١٠/٤. في تولية العزيز من السياسة وبعد النظر ما أبقى الملك في اسرته. فقد اوصى له ابوه وهو ليس اكبر ابنائه،فإن الصالح اكبر منه،لأن امه ضيفة خاتون بنت العادل ، وجده وأخواله لا ينازعونه الملك،ولو عهد لغيره من أولاده،لأُخذ الملك منه. ينظر:ابن كثير، البداية والنهاية،٧١/١٣.

(٢١)ابن واصل،مفرج الكروب،٣١٠/٤.

(٢٢)ابن واصل،مفرج الكروب،٢٥١/٣، ابن العديم،زبدة الحلب،١٧٩/٣.

(٢٣)وفاة العادل في سنة ٦١٥هـ.ابن الأثير ، الكامل،٣٢٦/٩.وابنه الكامل :هو محمد بن العادل(٥٧٦-٦٣٥هـ)،وهو أكبر أولاد العادل.أوصى اليه بالملك لعلمه بعقله ومعرفته.ملكَ مصر ثلاثين سنة.ابن كثير،البداية والنهاية،١٤٩/٣.

(٢٤)مينة قديمة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والنيل،محفوفة بالهواء الطيب،وهي ثغر من ثغور الأسلام، نزى عليه الفرنج في عهد الملك الكامل، ثم استعاده بمساعدة الملك العزيزصاحب حلب.ينظر:ياقوت الحموي ،معجم البلدان،٤٧٤/٢،٤٧٥.

(٢٥)ابن العديم،زبدة الحلب،١٦٥/٣.

(٢٦)ابن واصل،مفرج الكروب،٢٢٧/٤.

(٢٧)بلدة وكورة من نواحي حلب،وبها حصن،وهي ذات بساتين،ويسمونها زاوية البارة. ياقوت الحموي ،معجم البلدان،٣٢٠/٢، ابن الأثير ، الكامل،٣٨٧/٩، ابن واصل،مفرج الكروب،٤/ ٢٩٨.وضاعت ترجمتها من بغية الطلب.

حلب في عهد الملك الناصر: استقامت الأمور برعاية ضيفة خاتون بنت العادل في حلب،فلم تضعف عساكرها بل زادت قوة و تماسكا،وشارك عسكرها مع جيش الملك المعظم نوران شاه (٣٠) ،فحاصروا بغراس(٣١) وأوقع جيشها بالفرنجة في أدرباك(٣٢) وهزمهم(٣٣).وأنتزعت عساكر حلب المعرة (٣٤)من الملك المظفر صاحب حماة واستطاعوا الاستيلاء على حران(٣٥)وأستولوا على الرقة(٣٦)كما استطاع الناصر أن يضم حمص إلى أملاكه كما ضم دمشق إبان سلطنة شجرة الدر(٣٧).

سار الملك الناصر إلى مصر عام ٦٤٨هـ بصحبة العديد من الملوك الأيوبيين، لإعادة سلطة الأيوبيين إليها ،بعد تمرد المماليك وتغلبهم على الدولة في مصر،فانتصر الناصر على العساكر المصرية بقيادة المعز أيبك(٣٨).إلا أن المعز أيبك،حمل عليه بجماعة قليلة ثبتت معه ،فأنهزم الناصر إلى دمشق وأستقر الصلح بين الطرفين أخيرا سنة ٦٥١هـ،على أن يكون للمصريين إلى نهر الأردن وللناصر ما وراء ذلك(٣٩).

صارت الشام كلها للناصر، ومصر للمماليك،بزعامة أيبك.وبذلك استقرت الأمور، ولم يهددها إلا الهجمة المغولية القادمة من الشرق ،التي اجتاحت الممالك الإسلامية، ودخلت بغداد عام ٦٥٦هـ،وقتلت الخليفة العباسي المستعصم مع أكابر دولته وسيطرت على بغداد حاضرة الخلافة،ونقلت عن أعمال المغول الفضائع،فأنتشر الرعب منهم في كل الممالك الإسلامية.لم يتوقف الزحف المغولي عند بغداد إنما استمر نحو الشام،ولم تلبث حلب أن احتلت من قبلهم.وأراد الملك

---

(٢٨)ابن تغري بردي ،النجوم الزاهرة ، (طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب، ١٩٧٧)، ٦/ ٢٩٧، الهيب،الحركة الشعرية زمن الأيوبيين في حلب الشهباء ٥٧٩-٦٥٨هـ،٧٥.

(٢٩)باشر عنه الأمور شمس الدين لؤلؤ الأرمني،وعز الدين بالنجل وجمال الدولة أيال الخاتوني وكل ذلك تحت وصاية جدته ومتابعتها.ينظر:ابن الوردي،تتمة المختصر في اخبار البشر،٢٤١/٢.

(٣٠)ابن صلاح الدين(٥٧٧-٦٥٨هـ)،كان زاهدا،عمر طويلا ،ولم يتقرب من الحكم والسلطان،وكان الناصر يعظمه ويحترمه ويثق به،كانت وفاته في حلب. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،٩٠/٧.

(٣١)مدينة في لحف جبل اللكام،بينها وبين أنطاكية أربع فراسخ على يمين القاصد الى أنطاكيةمن حلب. ياقوت الحموي ،معجم البلدان،٤٦٧/١، ابن العديم،بغية الطلب،١٥١/١.

(٣٢)حصن كبير،قرب بغراس،فَتحه الملك الناصر. بغية الطلب،١٥١/١.

(٣٣)أبو الفداء،المختصر،١٥٩/٣.

(٣٤)مدينة كبيرة مشهورة،من أعمال حمص بين حلب وحماه.ماؤهم من الآبار ويكثرعندهم الزيتون والتين ومنها ابو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري المشهور. ياقوت الحموي ،معجم البلدان،١٥٦/٥،محمد سليم الجندي،تاريخ معرة النعمان،٢١/١وما بعدها.

(٣٥)مدينة الى الشمال الغربي من حلب. ياقوت الحموي ،معجم البلدان،٢٣٥/٢.

(٣٦)مينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة أيام وهي معدودة في بلاد الجزيرة لأنها تقع على الجانب الشرقي من نهر الفرات. ياقوت الحموي ،معجم البلدان،٥٨/٣.

(٣٧)من جواري الملك الصالح أيوب.أعتقها وتزوجها،وبعد وفاته أعلنت نفسهاسلطانة على مماليك مصر،إلا أنها تزوجت من ايبك،وتنازلت له عن السلطنة ثم عادت وقتلته.و قتلت بعده شر قتلة.ابن العماد الحنبلي،شذرات الذهب،٢٨٦/٥.

(٣٨)ابن عبد الله الصالحي،أول ملوك الترك بمصر ،أصله من مماليك الصالح أيوب،تزوجته شجرة الدر لتغطي به على سلطانها على مصر والمماليك بعد أن كثر الأنتقاد لسطنتها.فإتفق الأمراء على سلطنته.إلا أن شجرة الدر سرعان ما قتلته غيلة على يد أعوانها.ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة،٣/٧.ينظرعن احداث الفقرة المذكورة في المتن:ابو الفداء،المختصر،١٥٩/٣.

(٣٩)ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،٨/٧،ابن خلدون،العبر،٧٨٦/٥.

الناصر أن يصانع هولاكو،زعيم التتر ،فأرسل ابنه الملك العزيز متخفيا إليه،ثم أرسل إلى مصر مستنجدا بها على التتر فأجابه ملكها المظفر(٤٠).

في حلب كان الملك المعظم نوران شاه بن صلاح الدين نائبا عن الملك الناصر فجاءها أشموط بن هولاكو على رأس جيش التتر ،فانهزم جند حلب أمام التتر،إلا أن التتر،رجعوا عنها ولم يدخلوها(٤١).

جفل الناس من التتار،وأجتمعوا على الناصر في دمشق،في أمم عظيمة عام ثمانية وخمسين وستمائة، بعد أن عاد التتر إلى حلب من جديد،وعملوا على إدخال حامية لهم إليها،إلا أن نوران شاه رفض ذلك.فحاصر التتار حلب سبعة أيام،ثم اقتحموها بالأمان ،وغدروا بأهلها،وقتلوا منهم خلقا كثيرا،وأمتنعت القلعة عليهم فترة،ثم عادوا ودخلوها،وخربوا أسوارها وأسوار البلد(٤٢).

كان رسول الملك الناصر إلي مصر،كمال الدين بن العديم،مؤرخنا الذي نحن بصدده،حيث حضر إليها مستنجدا من التتار، وكانت الأمور في مصر غير مستقرة،والملك فيها علي بن ايبك، صغير السن، لا يستطيع القيام بأعباء السلطنة.فنهض بالأمور السلطان المظفر قطز.ذكر ابن تغري بردي،الكيفية التي تمت بها سلطنة قطز ،حيث استشار قطز أبنَ العديم وغيره من الأعيان والأمراء ،وعرفهم أن السلطان صغير ،ولا بد أن يقوم بالملك رجل شهم،يطيعه الأمراء وينتصب للجهاد،فأجابه الجميع أن ليس لهلا غيره(٤٣).

حمل ابن العديم من السلطان المظفر قطز إلى الملك الناصر جوابا يعده فيه بالنجدة وإنفاذ العساكر إليه لمواجهة التتار(٤٤).إلا أن احتلال المغول حلب أفقد الناصر صوابه،وخاف على نفسه كثيرا،فاتجه إلى مصر،ودخلتها عساكره،ماعدا قلة بقيت معه،وحين أقترب من مصر خاف أن يقبض عليه المظفر قطز،فبقي في مكانه مضطربا متحيرا(٤٥).وزين له طبرداره(٤٦)المضي إلى التتر فأغتر بقوله واتجه إليهم ،فبعثوه إلى هولاكو ،فرأى في رحلته إليه مدائن بلاده مكللة بالدمار والسواد.فوعده هولاكو برده إلى مملكته!(٤٧).

أندحر المغول التتر على يد قطز في عين جالوت(٤٨)،سنة ٦٥٨هـ،وأستأصل شأفتهم من بلاد الشام،وحرر دمشق وحلب،التي دخلت تحت سلطان الملك المظفر قطز.حاول التتر أن يعيدوا الكرة على الشام، فألتقوا مع عساكر المسلمين في حمص،غير إن دائرة السوء دارت على التتر.فعجّلَ

(٤٠)، ابن كثير، البداية،١٥/١٣،المقريزي،السلوك لمعرفة دول الملوك،٤١٧/١.
(٤١)ابو الفداء، تتمة المختصر،٢٩١/٢،ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،٧٥/٧.
(٤٢)ابن كثير، البداية والنهاية،٢١٨/١٣.
(٤٣)تنظر تفاصيل سفارة ابن العديم الى مصر:ابن كثير،البداية والنهاية،٢٢٨/١٣، ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،١٥٥/٧.
(٤٤)ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة،٧٣/٧.(حوادث سنة ٦٥٧هـ).
(٤٥)ابن تغري بردي،النجوم الزاهرة ،٧٧/٧.
(٤٦)الذي يحمل طبر السلطان أي فأسه عند ركوبه.القلقشندي ،صبح الأعشى ،٤٨٥/٥.
(٤٧)ابو الفداء،تتمة المختصر،٢٩٦/٢.
(٤٨)أسم أعجمي،وهي بليدة لطيفة بين بيسان ونابلس من أعمال فلسطين وقعت فيها معركة إندحار التتار سنة ٦٥٨ هـ بقيادة قطز.ياقوت،معجم البلدان،١٧٧/٤.

هولاكو جراء هذه الهزائم المتكررة له ولجنده أمام جيوش المسلمين بقيادة قطز إلى قتل الملك الناصر وأخيه الظاهر عام ٦٥٩هـ(٤٩).

بقتل الملك الناصر بأمر هولاكو ملك التتر، إنتهى مُلك بني أيوب في الشام،كما انتهى في غيرها قبل ذلك.وانتهت معه الدولة الأيوبية،بعد أن سجلت صفحات ناصعة في تاريخ الإسلام،وظلت راياتها خفاقة في بلاد الشام ومصر ،تضئ تحت حمايتها مشاعل الفكر والأدب زمنا ليس بالقصير .

هذه هي الصورة العامة لأبرز الأحداث السياسية العامة لعصر ابن العديم في حلب، وما كانت لها به من صلات سياسية وعسكرية وإدارية مع تاريخ بلاد الشام ومصر،أوردناها بإيجاز في هذا الموضع من البحث،عن البيئة السياسية التي عاش فيها ابن العديم الحلبي فأثرت فيه وكان له بها دور.لقد رأى ابن العديم النزاعات السياسية بين أطراف البيت الأيوبي ورأى الجهاد الذي خاضته جيوشهم ضد الفرنجة ،ورأى موجات الغزو المغولي وهي تجتاح بلاد الإسلام وتدخل بغداد، وتدخل مدينته حلب،وأجزاء واسعة من بلاد الشام ،رأى الخراب والدمار الذي أحدثته الغزوة المغولية التترية البربرية لبلاده،فكان سفيرها إلى مصر،لتوحيد الصف والعمل المشترك، للوقوف بوجه المخاطر الجسيمة التي تعرضت لها الأمة .وإذا كان ملك حلب،قد أظهر فسادا في الرأي ،وهانت نفسه،فهانت عليها قيمها العليا، فأستسلم للعدو ينشد عنه السلامة ، فلقي عنده القتل الذليل . فإنه رأى كيف فعلت إرادة الأمة الخيرة، في مصر والشام، عندما تهيأت لها قيادة مؤمنة حازمة قوية ،وحدت قدراتها وعظمتها وقادتها إلى النصر، على أقوى قوة همجية عرفها مشرق العالم الإسلامي حتى ذلك التاريخ.رأى ابن العديم تحطم الغزو المغولي القادم من الشرق،بفعل المقاومة العربية الإسلامية ،التي توحدت صفوفها وقدراتها على أرض الشام في ميدان معركة عين جالوت الخالدة بقيادة ابن مصر البطل المسلم الخالد قطز.رأى ابن العديم التغييرات السريعة التي حصلت في البيئة التي عاش فيها ،رأى معطيات متنوعة وفيرة،ستكون مادة كتابه،بغية الطلب ،الذي سيسجل أحداثها فيه من خلال تراجمه الكثيرة التي اتسع النوع فيها إتساعا كبيرا لأن كتابه كان لكل من عرفته حلب وما كان يتبعها ومن له صلة بإعلامها.

ثانيا. الحركة الفكرية في حلب في عصر ابن العديم :

شهدت الحركة الفكرية في حلب، نهوضا ملحوظا بعد مجيء الملك العادل نور الدين محمود إليها ،الذي وضع ركيزة أساسية لنشر العلوم،بأن كفى العلماء مؤونة عيشهم(٥٠).وحين ورث الأيوبيون دولة نور الدين،شجعوا الحركة الثقافية والأدبية بوسائل متعددة،فقد كانوا هم أنفسهم مشاركون فيها. وما وصلنا من إنتاج علمي وأدبي يرجع إلى هذا العصر يدل على وجود حركة فكرية كبيرة،أطلعت في سمائها عددا كبيرا من الفقهاء والمحدثين والمفسرين والشعراء والنحاة والمؤرخين والجغرافيين والفلكيين والأطباء وغيرهم.

سهل الأيوبيون لكل هؤلاء السبل لينهضوا بالحركة العلمية والفكرية ،واجتذبوهم من أماكن متعددة ليأتوا إلى حلب العامرة بمساجدها ومدارسها ومكتباتها ليمارسوا فيها عملهم العلمي المتنوع بعطائه(٥١). فقد لقيت الحركة الفكرية في حلب، رعاية متميزة في عهد واليها ، الملك العزيز بن

(٤٩)ابن كثير،البداية والنهاية،٢٣٠/١٣.الظاهر:هو غازي بن العزيز محمد،أسره التتر مع الناصر ثم قتلوه بعد هزيمتهم في حمص. ابن العماد ،شذرات الذهب،٣٠٠/٥.

(٥٠)ابن شداد،الأعلاق الخطيرة،١١٠/١،ابن واصل،مفج الكروب،١٣٦/١.

(٥١)ابن شداد،النوادر السلطانية ،(سيرة السلطان صلاح الدين الأيوبي) ،٥٢.

السلطان صلاح الدين الأيوبي .الذي أبتدأ عهده بفتح المدارس ،وأولها دار للحديث النبوي في حلب . وسار من تلاه من ملوك بني أيوب على هذا الطريق في رعاية الحركة الفكرية. وساعد على بعث النهضة العلمية في حلب كذلك، تدفق علماء الأندلس إليها،بعد تساقط مدنهم بيد القوى الأسبانية الواحدة تلو الأخرى(٥١).

العلوم الشرعية:شجع الملوك الأيوبيون،في حلب،وغيرها من البلاد التي خضعت لسلطانهم، الفقهاء والعلماء ،الذين وقفوا معهم في حركة الجهاد ضد الفرنجة.ونالت العلوم الشرعية رعاية خاصة منهم .وكان المجال واسعا في عهدهم لتعليم القرآن الكريم.حتى أن الصبية الذين كانوا يتعلمون القرآن في الكتاتيب والمساجد ،كانت تأتيهم أرزاقهم من بني أيوب إلى حلقات الدرس.وكان السلطان صلاح الدين نفسه يحضر مجالس الحديث(٥٢)،وكذلك أولاده من بعده.وبنى الأيوبيون دورا خاصة للحديث سكنها المحدثون وطلاب الحديث.ففي باطن حلب زاوية بالجامع للحديث ،ودار أخرى أنشأها ابن شداد(٥٣).وأخرى أنشأها مجد الدين بن الداية(٥٤) ورابعة أنشأها بدر الدين الأسدي (٥٥)ودار من إنشاء أم الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود في الخانقاه الذي بنته(٥٦)،ودار من إنشاء إبراهيم بن يوسف القفطي(٥٧).والمدرسة الجارونية(٥٨)وغيرها من المدارس التي بناها الأيوبيون .

عرفت حلب في عصر ابن العديم محدثين مشاهير ،ظل أثرهم في علم الحديث لمدة طويلة،وكانت كتبهم مصادرا في هذا العلم حتى يوم الناس هذا،كأبن الصلاح (ت٦٤٣هـ) ،شيخ الأسلام أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الكردي الشهرزوري،الإمام العالم المتقن،الغالب عليه علم الحديث،معتمد الدارسين والباحثين(٥٩). و القفطي(ت٦٤٦هـ) ،جمال الدين علي بن يوسف الذي حدث بحلب ودمشق(٦٠).

وشارك بنو العيم في علم الحديث ،واشتهرت منهم السيدة شهدة(ت٧٠٩هـ) إبنة الصاحب كمال بن العديم (٦١)،أخذت في حلب من الكاشغري،وأجازها جماعة من المحدثين(٦٢).

---

(٥٢)ابن شداد،النوادر السلطانية ،٥٢.
(٥٣)اليافعي،مرآة الجنان ،٨٢/٤،اليماني،غربال الزمان ،٥١٢.
(٥٤)أمير من أمراء نور الدين إستنابه على حلب،فأحسن التدبير،وهو أخ له من الرضاعة،توفي في حلب سنة ٥٦٥هـ ،ابن العديم ،زبدة الحلب،٣٠٢/٢.
(٥٥)أحد مماليك أسد الدين شيركو،اعتقه.الذهبي،سير اعلام النبلاء،٢٦١/٤.
(٥٦)الهيب،الحركة الشعرية في حلب،٥٢.
(٥٧)الكاتب والعالم والمحدث الوزير اخو الصاحب علي بن يوسف(٥٩٤-٦٥٨هـ).ولد ببيت المقدس وأنتقل الى حلب.وزر فيها بعد أخيه.الذهبي، سير اعلام النبلاء،٤٩٤/٤.
(٥٨)تقع داخل باب الفرج ،بناها جاروخ التركماني محمود بن المبارك المعروف بالمجبر الواسطي البغدادي توفي سنة ٥٩٠هـ.درس في هذه المدرسة العديد من العلماء.ابن شاكر الكتبي،عيون التواريخ،١٦٢، الهيب،الحركة الشعرية في حلب،٥٢.
(٥٩)من شيوخ ابن خلكان.ابن خلكان،وفيات الأعيان،٢٤٢/٣،اليافعي،مرآة الجنان،١١٠/٤،اليماني،غربال الزمان،٥٢.من كتب ابن الصلاح المشهورة المعتمدة ،كتاب علوم الحديث،حلب١٩٦٦.
(٦٠)من كتب القفطي،إنباه الرواة على أنباء النحاة.تحق محمد ابي الفضل إبراهيم.القاهرة.١٩٥٠-١٩٥٥.عن أسرة القفطي الشهيرة،التي برز منها أعلام كثر. الذهبي، سير اعلام النبلاء،٥٤١/٤.
(٦١)ترجمتها:الذهبي،سير أعلام النبلاء،٥٤١/٤.
(٦٢)أبراهيم بن عثمان ابو إسحق الكاشغري الزركشي(بغداد٥٥٤-٦٤٥هـ)،نسبة الى كاشغر من مدن الترك ،من علماء حلب في القرن السادس الهجري.البغدادي،مراصد الإطلاع ،ج ٣، ابن العماد

وغدا للفقه في حلب منزلة عالية في ظل بني أيوب، ونبغ عدد من المشاهير في ميدانه منهم ،صقر بن يحيى (ت٦٥٣هـ) شيخ صاحبنا ابن العديم (٦٣)،وعبد المطلب بن الفضل الهاشمي(٥٣٩-٦١٦هـ)(٦٤)،وعبد الواحد بن العديم(ت٦٥٨هـ)(٦٥).

علوم اللغة العربية:إجتذبت حلب إلى ربوعها إمام هذه العلوم في عصره ابن مالك (ت٦٤٣ هـ).(٦٦)،الذي درس على شيخ العربية ابن يعيش،(٥٥٠-٦٧٢هـ)(٦٧)،ونبغ فيها وصارت مصنفاته العمدة في علم النحو.وظهر إلى جانبه في حلب عدد من النحويين،مثل الحسن بن هبة الله الموصلي(ت٦٠٣هـ)(٦٨)،وسعيد بن أبي منصور الحلبي(٦٩)،وابن عمرون (٥٩٦-٦٤٤هـ)،محمد بن محمد بن علي (٧٠)،نحوي حلب ،تتلمذ على ابن يعيش.وأبن خروف النحوي (٥٢٤-٦٠٩هـ) (٧١)وغيرهم وكلهم من المشاهير (٧٢).

التاريخ: برز عدد من المؤرخين في حلب منهم ابن شداد في تاريخه:النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية،الذي دون فيه سيرة الناصر صلاح الدين الأيوبي.والذي قال فيه موضحا منهجه في الموارد:"ما سطرت إلا ما شاهدته أو أخبرني به من أثق به خبرا يقارب العيان "(٧٣).وسنأتي في هذا البحث على ابن العديم الحلبي وما دونه في التاريخ.

الحنبلي،شذرات،٢٣٠/٥، اليافعي،مرآة الجنان،١١٢/٤،ابن حجر،لسان الميزان،٧٩/١، الصفدي،الوافي بالوفيات،٥٥/٦، الذهبي،ميزان الأعتدال ،٤٨/١.

(٦٣)موصوف بالعلم والديانة .الذهبي،تاريخ الأسلام بين٦٢١-٦٦٠هـ،العبر،٢١٤/٥،السبكي،طبقات الشافعية،١٥٣/٨،،ابن كثير،البداية والنهاية،١٨٦/١٣،ابن العماد الحنبلي،شذرات الذهب،٢٦١/٥.

(٦٤)حدث ودرس وكان شريفا عاقلا ورعا دينا صحيح السماع،عالي الأسناد.روى عنه خلق كثير.ابن الأثير، الكامل،حوادث سنة٦١٦هـ ،ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب،٦٩/٥،ابن قطلوبغا،تاج التراجم في طبقات الحنفية،٣٦،الطباخ،أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء،٣٤١/٤.

(٦٥)الفقيه الأديب المحدث،المنعوت بالبدر المعروف بإبن الغنائم،عبد الواحد بن عبد الصمد بن عبد الله بن أبي جرادة بن العديم الحلبي. مولده سنة ٦٢٢هـ وقتل في وقعة التترسنة٦٥٨هـ . اليونيني، ذيل مرآة الزمان،٤٣٢.

(٦٦)جمال الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني الأندلسي(جيان ٥٩٨أو٦٠٨ أونحو

٦٠٠ هـ -٦٤٣هـ).تلقى علومه الأولية في بلده الأندلس،ورحل في شبابه المبكر الى دمشق،بعد أن سمع ابن يعيش في بعلبك. ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات ،٢٢٧/٢،السبكي،طبقات الشافعية،٢٨/٥،السيوطي،بغية الوعاة،٥٣،٥٧/٢.

(٦٧)ابو البقاءيعيش بن علي يعيش،(٥٥٠-٦٧٢هـ)،موطنه حلب.ابن خلكان،وفيات الأعيان، ،اليافعي،مرآة الجنان،٦٠٦/٤،ابن العماد،شذرات الذهب،٢٢٨/٥.

([٦٨])ضياء الدين الحسن بن عمرو الموصلي،نحوي أديب شاعر،تصدر لإقراء العربيةفي الموصل،ثم سافر الى السلطان صلاح الدين،وخدم ابنه الظاهر بحلب،وتوفي بها.السيوطي، بغية الوعاة،٥٤١/١.ا

([٦٩])نحوي حلبي،تصدر بجامع حلب لإقراء العربية،والقرآن. السيوطي، بغية الوعاة،٥٩١/١.

([٧٠]) الذهبي،سير أعلام النبلاء،٤٣٣/٤.

([٧١])أندلسي من إشبيلية،أقرأ النحو بعدة بلاد،وأقام بحلب،ثم عاد الى بلده وتوفي بها. السيوطي، بغية الوعاة،١/ .

([٧٢])أعلام النحو في حلب كثر ومشاهير ومنهم أيضا:محمد بن علي المازندري وعبد الله الجماعيلي(ت٦٢٠هـ).

([٧٣])ابن شداد،سيرة صلاح الدين ،٧١.

علوم الجغرافية والفلك :دونت في عهد الدولة الأيوبية في حلب موسوعات متميزة،تعد من الشواهد على تقدم التدوين في عدد من العلوم وتقدمها.ففي ظل هذه الدولة دون ياقوت الحموي([٧٤]) مسوعته الشهيرة "معجم البلدان " ،الذي لايزال موضع تقدير وإعجاب المختصين بالجغرافية والتاريخ والأدب ومصدر لاغنى لإبحاثهم عنه([٧٥]).وفي هذا العهد ظهر أيضا كتاب" الزيارات" للشيخ الهروي(٧٦).وصف فيه المزارات والمشاهد التي رآها في بلاد الشام وغيرها مبتدئا بمدينة حلب.

واشتهر أعلام بعلم الفلك في حلب ،ففي علم الأزياج(٧٧)،جذبت حلب إليها اباالحجاج يوسف المغربي(٧٨).وعبد الله الجماعيلي المختص بعلوم النجوم السيارة ومعرفة منازلها(٧٩).

الطب: أما علم الطب فقد راج رواجا كبيرا في هذا العصر. وأنتشرت البيمارستانات،وكثر عدد الأطباء وظهر نوع من التخصص،كالطب الباطني وطب العيون والطب البيطري.وأشرفت الدولة على الأطباء بواسطة المحتسب.وبنى الملوك البيمارستانات لمداواة المرضى وجعلت موضعا عمليا يتدرب فيه طلبة علم الطب(٨٠). قامت في حلب ثلاث مدارس طبية،وبلغت العناية بالمرضى مرتبة عالية،وخاصة المرضى المصابين بالأمراض النفسية(٨١).ومن أشهر الأطباء الذين عرفتهم حلب عبد اللطيف البغدادي(٨٢) وعفيف بن سكرة الحلبي(٨٣)،صاحب كتاب القولج،الذي ألفه للملك الناصر،وحسون الرهاوي(٨٤).

شارك الأطباء موظفون من غير اختصاصهم في الإشراف على البيمارستانات،كما حصل لعلي بن محمد المعروف بإن خروف.ولم يكن هؤلاء العلماء من أهل مدينة حلب فقط،أو من العرب،بل استقطبت مملكة الأيوبيين في حلب العلماء من كل القوميات والأديان والبلدان،فكان في كنفها العلماء من مصر والمغرب والأندلس والعراق وغيرها من البلدان، وفيها من الأتراك والكرد والتركمان وسواهم بجانب العرب(٨٥).

---

[٧٤]ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين (٥٧٤-٦٢٦هـ/ ١١٧٨-١٢٢٩م)، مؤرخ ثقة من أئمة الجغرافيين، أصله من الروم، أسر من بلاده صغيرا، وابتاعه ببغداد تاجر اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي، ثم أعتقه وأبعده، فعاش من نسخ الكتب، رحل رحلات كثيرة وهرب من التتر، ثم رحل إلى حلب، ترجمته:ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢١٠/٢،اليافعي، مرآة الجنان: ٥٩/٤-٦٣.

(٧٣)الكتاب مطبوع عدة طبعات.

(٧٦)الكتاب مطبوع في دمشق،عام ١٩٥٣.

(٧٧)علم حسابي يختص بكل كوكب في طريقة حركته ومواضعه. احمد بدوي،الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية،٣٠٤.

(٧٨)طبيب فلكي مهندس مغربي ،هاجر الى حلب واتصل بالملك الظاهر ،له مؤلفات عدة.ابن ابي اصيبعة،عيون الأنباء في طبقات الأطباء،٦٩٦.

(٧٩)الهيب،الحركة الشعرية،٥٨.

(٨٠) الهيب،الحركة الشعرية ،٥٩.

(٨١)محمد كرد علي،خطط الشام،١٦٦/٦.

(٨٢)الكتبي،فوات الوفيات،١٦/٢.

(٨٣)عفيف بن عبد القاهر بن سكرة يهودي الديانة ،من حلب ،عارف بالطب.ابن ابي اصيبعة،عيون الأنباء،٦٣٨.

(٨٤)طبيب بارع،نصراني،أقام في حلب الى أن توفي.الذهبي،سير أعلام النبلاء،٢٥٤/٤.

(٨٥)ينظر:ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات،١٩١/٢.

لقد جذبت حكمة الأيوبيين ورعايتهم للحركة الفكرية،الجمع الغفير إلى مدارس حلب،وعلمائها،الذين عرفوا قدر العلم وأهله.وساهمت الأحوال السيئة في البلدان الأخرى،في تشجيع العلماء على الرحيل إلى حلب ،حيث الاستقرار النسبي،مقارنة بما آلت إليه الحال في البلدان التي تعرضت للغزو الخارجي ،ولاسيما الأندلس ،وبلدان المشرق الإسلامي.وساعدت النظرة الأخوية التي كانت سائدة بين المسلمين ،العلماء والشعراء والأدباء على الترحال والوفود على أي بلد عربي وإسلامي، وخاصة إذا كان الهدوء والأستقرار متوفر فيه،كما في حلب في مدد الاستقرار فيها.فلم يكن هؤلاء الأعلام يشعرون بالغربة في أي بلد حلوا فيه من بلدان عالمهم العربي الإسلامي. بل كانوا يجدون الترحاب والتقدير حيثما حطت بهم عصا الترحال،وتفتح أمامهم فرص تولي المسؤوليات السياسية والإدارية والمناصب العلمية ،وتخصص لهم الأموال التي تكفيهم مؤونة العيش،فيتفرغوا للعمل العلمي المتنوع من تدريس وتأليف وعمل في البيمارستانات،فأدى هذا وسواه من عوامل مشجعة على وفرة الإنتاج العلمي وضخامته وتنوعه(٨٦).

ويلاحظ أن علماء ذلك العصر ،جمعوا، كما هو معروف،بين العلوم المختلفة،فألفوا فيها المؤلفات،فالوزير ابن القفطي مثلا، جمع بين التاريخ واللغة والنحو والحديث وعلم الكلام والأدب والشعر(٨٧).وعبد الله الجماعيلي ،جمع بين النحو والفلك والحساب(٨٨).وبهاء الدين بن شداد،جمع بين علم القراءات والتاريخ والقضاء والفقه.وأبن العديم ،جمع بين التاريخ والخط والأدب والكتابة والقضاء والفقه والشعر،وكثير غيرهم.لقد كان كل واحد من أولئك الأعلام موسوعة علمية.

كان عامة أفراد المجتمع في حلب وغيرها تحترم أولئك العلماء وتجلهم،وتفيد من علمهم وتلوذ بهم عندما تدلهم الخطوب ،وكانوا يتقدمون صفوفها في المحن والشدائد والمواجهات وهم قدوتها في كل حال(٨٩).

المبحث الثاني:ابن العديم الحلبي :

أولا. ابن العديم الحلبي(٩٠) و أسرته: ترجم ياقوت الحموي لابن العديم فقال: عمر بن أحمد يعرف بابن العديم([٩١]) العقيلي. يكنى أبا القاسم، ويلقب كمال الدين، في أعيان حلب وأفاضلهم،

---

(٨٦)ينظر: الكتبي ، فوات الوفيات١٦/٢،كريم عجيل حسين،الحياة العلمية في مدينة بلنسية الإسلامية ،١٦١ وما بعدها.

(٨٧) ألهيب،الحركة الشعرية،٦١.

(٨٨)الكتبي ، فوات الوفيات١٩١/٢،١٦.

(٨٩)ينظر: ألهيب،الحركة الشعرية،٦٢.

(٩٠):ترجمته:ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات ، ١٢٦/٣، رقم الترجمة (٣٤٢)، ابن كثير، البداية والنهاية، ٧: ٢٤٩/١٣، اليونيني، ذيل مرآة الزمان،٥١٠/١، ابن تغري بردي، ٢٠٨/٧، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٣٠٣/٥، اليافعي، مرآة الجنان، ١٥٨/٤، الصفدي ، الوافي بالوفيات، ٤٢١/٢٢، ترجمة رقم (٣٠٢)، الصقاعي ،تالي وفيات الأعيان، ٥٩ رقم الترجمة (١٤٢)، ياقوت الحموي،معجم الأدباء، ١٨/٦، القرشي،الجواهر المضية في طبقات الحنفية، ٣٨٦،ترجمة رقم (١٠٦٥)، ابن قطلوبغا،تاج التراجم ،٤٨.

(٩١) ذكر ياقوت الحموي أنه سأل كمال الدين ابن العديم :" لم سميتم ببني العديم فقال:سألت جماعة من أهلي عن ذلك فلم يعرفوه وقال هو اسم محدث لم يكن آبائي القدماء يعرفون بهذا ولا احسب إلا أن جد جدي القاضي أبا الفضل هبة الله بن أحمد... ،مع ثروة واسعة ونعمة شاملة،كان يكثر في شعره من

وهو عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله تعالى عليه.واسم أبي جرادة: عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل، أبي القبيلة، ابن كعب بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلانبن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ([٩٢]).

فهو عدناني أصيل الأرومة، عريق النسب، من قبيلة عقيل(٩٣)، وبيت أبي جرادة بيت مشهور من اهل حلب،كان منهم أدباء وشعراء وفقهاء وعباد وزهاد، وقضاة توارثوا الفضل كابرا عن كابر وتاليا عن غابر كما يعبر عن ذلك معاصر ابن العديم ياقوت الحموي[٩٤].

كان عقب بني ابي جرادة من ساكني البصرة في محلة بني عقيل بها فكان اول من انتقل منهم عنها موسى بن عيسى الى حلب في مطلع القرن الثالث الهجري ، وردها تاجرا، فستوطنها ،وكانت لآل أبي جرادة تجارة إلى الشام، ورافق ذلك حدوث طاعون بالبصرة، فخرج منها جماعة من بني عقيل ،وقدموا الشام وفضل موسى جد كمال الدين بن العديم السكنى بحلب. وكان لموسى من الولد محمد وهارون وعبد الله، والعقب الموجود في حلب الى حياة ابن العديم لهارون جد كمال الدبن و لعبد الله وهم اعمامه، ولمحمد ولد اسمه عبد الله وشك ابن العديم أن يكون له عقب(٩٥).

وفي حلب أخذت أسرة بني العديم دوراً هاماً، وتوسعت أملاكها، فقد اشترى هارون بن موسى بحلب ملكاً في قرية ما تزال قائمة تعرف بـ" ورم الكبرى" (٩٦)، واشترى ابنه زهير(ت حدود٣٤٠هـ) اكثر املاك بني ابي جرادة بحلب وأوقف وقفاً على فرس يجاهد في سبيل الله (٩٧).

وظل لبني العديم مكانة عالية في حلب، وتقلدوا مناصب في القضاء والتحديث والخطابة والحسبة والإمامة، ومنهم الشعراء والكتاب والفقهاء في الدولة المرداسية، وكذلك الدولة العقيلية وفي خدمة العباسيين والفاطميين، ثم في الدولة النورية والأيوبية، و غدا لكمال الدين بن العديم دور بارز في القضاء والوزارة والرئاسة في دولة أبناء صلاح الدين في حلب ودمشق ومصر.

ذكر العدم وشكوى الزمان فسمي بذلك فإن لم يكن ذلك فلا أدري ما سببه."،معجم الأدباء،٣٦٤٧/٥٢٩٥.(الموسوعة الشعرية،قرص مدمج).

(٩٢)معجم الأدباء،١٩/٦ وما بعدها. نقلا عن الترجمة التي ذكرها ابن العديم لنفسه في كتابه: الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة. الذي اخذه ياقوت الحموي ،كما ذكر، قراءة عن مؤلفه ابن العديم.ولنا عناية بهذا الكتاب الذي نأمل نشره مستقلا.ايضا ينظر: ابن العديم: زبدة الحلب ،١٤/١.

(٩٣) عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن عدنان، جاهلي، كانت لبعض بنيه إمارة في الكوفة والبلاد الفراتية، وتغلبوا على الموصل حتى غلبهم السلاجقة، فتحولوا إلى البحرين، وأصلهم منها، ونشأت لهم فيها إمارة، وكانت الإحساء مقرا لبعض أمرائهم، ومن بني عقيل هذا بنو ربيعة بن عقيل ، وبنو "عامر بن عقيل" منهم بنو المثقف وآخرون، ترجمتهم في: ابن حزم: جمهرة أنساب العرب: ٢٧٣-٢٧٥، ابن خلدون:العبر : ٢٥٤/٤.

(٩٤)ياقوت الحموي:معجم الأدباء: ١٨/٦.

(٩٥) ابن العديم: بغية الطلب: ١٢١٠/٣، ١٢٢٢/٣، ياقوت الحموي:معجم الأدباء:٣٦٤٩/٥٢٩٥-٥٠(الموسوعة الشعرية)(مما حدثه به كمال الدين بن العديم) .

([٩٦]) ياقوت الحموي: معجم البلدان،٢٧٨/١، ٢٧٩. أورم أربعة مواضع كلها قرى بحلب، أورم الجوز، أورم الكبرى، أورم الصغرى، أورم البرامكة. ياقوت، الحموي، المشترك وضعا والمفترق صقعا،٣٠.

([٩٧])ينظر: ياقوت الحموي: معجم الأدباء:٣٦٦٣/٥٢٩٥(الموسوعة الشعرية): معجم البلدان: ٤٣٢/٥،ابن العديم: بغية الطلب: ٣٦٢٢/٦ ترجمة رضوان بن تتش.

كان والده القاضي ابو الحسن احمد(٥٤٢-ليلة الجمعة٢٧ شعبات٦١٠هـ)، من وجهاء حلب، فهو خطيب الجمعة فيها طيلة أيام دولة نور الدين محمود بن زنكي (٥٥٣-٥٦٩هـ). وتولى الخزانة أيام ولده الملك الصالح إسماعيل (٥٦٩-٥٧٧هـ). ثم لم يلبث أن تولى قضاء حلب وأعمالها، حتى قيام الدولة الأيوبية ودخول حلب في سلطة السلطان الناصر صلاح الدين سنة ٥٧٨هـ، حيث عزل عن القضاء، وتولاه قضاة الشافعية(٩٨).

ولد كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة. حُمل عند بلوغه السابعة من عمره إلى المكتب،وفي المكتب قال عنه معلمه لئن عاش هذا الطفل لا يكون في العالم اكتب منه.ويعلق ياقوت على هذا الخبر ،الذي رواه عن كمال الدين،فيقول :"وصحت لعمري فراسة المعلم فيه فهو أكتب من كل من تقدمه بعد ابن البواب بلا شك". حيث تفرس أهل زمانه وأساتذته النجابة والذكاء فيه ، فختم القرآن وهو في التاسعة من عمره وقرأ بالعشر وعمره عشر سنين، ثم تعلم الخط، فأتقنه وصار مبرزا فيه، ولقي عناية بالغة من أبويه فلم يكن لهم ذكر غيره([٩٩]).

اختصه والده بالرعاية والصحبة في السفر والحضر، صحبه إلى بيت المقدس، ودمشق مرتين في سنة ٦٠٣هـ، وعمره خمس عشرة سنة، وثانيها في سنة ٦٠٨هـ، وعمره عشرون سنة. وجمعه بالمشايخ في القدس ودمشق فأفاد منهم وتعلم، ثم رحل إلى العراق والحجاز(١٠٠). وإذا ما عرفنا أن والده كان ميسور الحال، ولهم أملاك كثيرة منها ما سبق ذكره من ميراثهم من جدهم الأعلى هارون ، وعليه فإن من يملك المال والثروة بمقدوره أن يبذل ويسخو في سبيل ولد نابه له تعلق بالعلم حتى يبلغ من الثقافة والعلم ما يطمح اليه.

ثم إن والده زوجه مرتين، الزوجة الأولى من بنات أعيان حلب، والثانية ابنة الشيخ الأجل بهاء الدين أبو القاسم عبد الحميد بن الحسن بن عبد الله المعروف بآية العجمي، وكان شيخ الشافعية بحلب، وأعظم أهل حلب منزلة وقدرا ومالا وجاها وساق إليهم المهر، وبالغ في الإحسان(١٠١).

بدأ التدريس بمدرسة شادبخت وهي من اجل مدراس حلب،سنة ٦٢٦هـ ،وعمره يومئذ ٢٨سنة.و حلب أعمر ما تكون بالعلماء والمشايخ والفضلاء إلا انه رئي أهل للتدريس دون غيره وتصدر وألقى الدرس لأول بجنان قوي ولسان لوذعي فأبهر الناس الذين حضروا وأعجبهم ([١٠٢]).قال عنه معاصره ياقوت الحموي : قرأ الأدب وأتقنه ثم درس الفقه فأحسنه ونظم القريض فجوده وانشأ النثر فزينه وقرأ حديث الرسول وعرف علله ورجاله وتأويله لم يعتن بشئ إلا وكان فيه مبرزا [١٠٣].

([٩٨]) انظر ترجمة والده في كتاب ابن العديم نفسه: بغية الطلب: ١٢١٠/٣. ترجم له ترجمة مستفيضة، كما ترجم في هذا الكتاب لعدد آخر من أعيان أسرته، وهم كثر. و نقل ياقوت في معجم الأدباء أخبار والده من كتابه الأخبار المستفادة: ٣٤/٦، ٣٥.

(٩٩)يقول ياقوت الحموي:إنه سأل كمال الدين عن مولده فقال له ولدت...معجم الأدباء:٣٦٨٣/٥٢٩٥-٨٤(الموسوعة الشعرية).

(١٠٠) ياقوت: معجم الأدباء: ٢٣/٣، ٢٤.(عن كتاب الأخبار المستفادة)،الطباح،أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، ٥٣٠/٤.

(١٠١) لم نقف له على ترجمة، وذكر عرضا في مصادر متعددة منها: معجم الأدباء، والتكملة لوفيات النقلة ، وترجمته في بغية الطلب مفقودة، ويبدو أنه كان من وجهاء حلب وأصحاب الثروة.

(١٠٢) ياقوت، معجم الأدباء،٣٧٩٠/٥٢٩٥(الموسوعة الشعرية).

(١٠٣) ياقوت، معجم الأدباء،٣٧٨٢/٥٢٩٥(الموسوعة الشعرية).

عاش ابن العديم في النصف الأول من القرن السابع الهجري بحلب، وكان ذلك العصر عامرا بالمؤرخين، حافلا بالعلماء والدارسين، وكانت حلب محجة القاصدين والوافدين من كل الأقطار، فيها من مصر والعراق والحجاز، فاجتمع إلى ياقوت الحموي(١٠٤)، وظل أقرب الناس لأسرته، وأشد الناس صحبة له، ومحبة لعمله، وأعجب به إعجابا لا يعرف الحدود.وعرفه ابن خلكان(١٠٥) وسمع من القفطي(١٠٦) وابن شداد(١٠٧) وغيرهم كثير.

مكانة بني جرادة العلمية: ابو القاسم كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم بن أبي جرادة، وريث أسرة عريقة في حلب، تولى القضاء فيها خمسة من آبائه ،وواحد من عمومته، وكان له مكانة سامية عند أمراء حلب المختلفين.

فأول من ولي القضاء من ابناء عمومته القاضي ابو طاهر عبد القاهر بن علي بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن ابي جرادة(ت٤٦٣هـ)،من سادات البيت وأعيانهم [١٠٨].

وأول من ولي القضاء بمدينة حلب من آباء وأجداد كمال الدين ابن العديم : ابو الحسن احمد بن يحيى بن زهير(ت بعد٤٢٩هـ) ([١٠٩]). وتولاه ابنه القاضي ابو الفضل هبة الله بن احمد(ت٤٨٨هـ) ، كان كبير القدر، مبجلا عند آل مرداس، ولي القضاء بحلب وأعمالها سنة ٤٧٣هـ، وبقي على ذلك إلى أن توفي. وولايته للقضاء تعود إلى أوائل دولة شرف الدولة أبي المكارم مسلم بن قريش، وكتب تقليده من بغداد عن الخليفة المقتدي بالله(١١٠).

عانى ولده القاضي أبو غانم محمد(٤٤٦-٥٣٤هـ) الأمرين، فقد عين قاضيا لحلب ثم عزل، ثم أعاده رضوان بن تتش، وجاءه التقليد من بغداد بالقضاء والحسبة، عن القاضي ابن الدامغاني(١١١)، بأمر المستظهر بالله في صفر سنة ٤٩٦هـ، وهذه ولايته الثانية للقضاء. وكان حنفي المذهب، وكان يؤم الناس ثلاثين سنة. وأبو غانم هذا هو الذي نهض من حلب في سنة ٥١٨هـ، وقد حصرها الفرنج ودبيس حتى قدم على البرسقي الموصل مستنجدا به لينقذ حلب من الحصار، فاستنقذها وهربوا لما سمعوا بقدومه، وكان أهل حلب تولوا حفظ بلدهم بأنفسهم وأبلوا بلاء حسنا، حسنت به العاقبة(١١٢).

---

(١٠٤)ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢١٠/٢،اليافعي، مرآة الجنان: ٥٩/٤-٦٣.

(١٠٥) شمس الدين، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الأربلي الشافعي، أحد الأئمة الفضلاء، درس بعدة مدارس، لم تجتمع لغيره. أبو الفداء ابن كثير: البداية والنهاية: ٣١٨/١٣.

(١٠٦) له ترجمة فيما بعد من هذا البحث.

(١٠٧) ابن شداد له ترجمة فيما يأتي من البحث. ابن كثير: البداية والنهاية: ١٤٣/١٣.

١٠٨ياقوت الحموي، معجم الأدباء،٣٧٥٠/٥٢٩٥ (الموسوعة الشعرية).

١٠٩ياقوت الحموي ، معجم الأدباء،٣٧٦٣/٥٢٩٥-٦٤(الموسوعة الشعرية).

(١١٠) ياقوت، معجم الأدباء،٢٦/٦، ٢٧.

(١١١) علي بن الدامغاني، علي بن محمد بن علي أبو الحسن الدامغاني، قاضي القضاة، ولي القضاء في بغداد بعد أبي بكر الشامي، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة إلى ٥١٣هـ، وناب في الوزارة أيام الخليفة المستظهر و الخليفة المسترشد، وقام بأخذ البيعة للخليفة للمسترشد ولا يعلم قاضٍ ولي لأربعة خلفاء غيره. وهو من شيوخ ابن الجوزي. ترجمته: ابن الجوزي،المنتظم ، ٢٠٨/٩،ابن الأثير، الكامل، ٢٩١/٨، سبط بن الجوزي، مرآة الزمان: ٨١/٨، الأربلي ،خلاصة الذهب المسبوك، ٢٧١،اليافعي، مرآة الجنان، ٢٠٤/٣، ابن كثير، البداية والنهاية، ١٨٥/١٢، ابن العماد، شذرات الذهب، ٤٠/٤، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ٢١٩/٥.

(١١٢) ياقوت: معجم الأدباء: ٣٠/٦، ٣١، بغية الطلب: ١٩٦٤/٤.(ترجمة آق سنقر البرسقي).

وبعده تولى القضاء ولده هبة الله، سمي بإسم جده وكني بكنيته (٤٩٩-٥٦٢هـ)،تولاه سنة٥٣٤هـ وعزل عنه في سنة٥٥٧ هـ.وكتب له عهده من أتابك زنكي بن آقسنقر سنة ٥٣٤هـ، ثم جاءه العهد له من بغداد من قاضي القضاة الزينبي(١١٣)، بامر الخليفة المقتفي، لكنه عزل سنة ٥٥٧هـ ([١١٤]).

وعرض قضاء حلب على جمال الدين ابي غانم محمد بن القاضي ابي الفضل هبة الله بن القاضي ابي غانم (حيا سنة٦٢٠هـ)، احد الأولياء العباد ،فامتنع،فقلد القضاء أخوه القاضي ابي الحسن احمد(٥٤٢-٦١٠هـ)، والد كمال الدين ،المعنيين به في هذه الدراسة ،تولى قضاء حلب من سنة٥٧٥-٥٧٨هـ ([١١٥]).

وقد ولي ابن العديم نفسه القضاء، ووجدنا العديد من المؤرخين من أشار إلى ذلك، ولكن هذه المرة لم نجد في المطبوع من بغية الطلب تفصيلات وافية عنها، ولم أجد في المطبوع من بغية الطلب إلا إشارة موجزة عن ذلك، أنه وصله كتاب في الوقف من سلفه من قضاة حلب(١١٦).

ترجم ابن العديم في بغية الطلب وفي الأخبار المستفادة للعديد من أعلام بني ابي جرادة (١١٧).وفي طبقات الحنفية تراجم كثيرة لأعلام عديدين منهم.

إن مكانة هذه الأسرة عند أهل حلب وعند علمائها قد سهلت لابنها عمر بن أحمد إفادته من العلماء في حلب التي قدمه فيها إليهم آباؤه ، ودفعوه إلى العلماء لينهل منهم، وفتحوا له السبل كلها للوصول إلى العلماء الذين يقدمون حلب ويزورونهم، وكثيرا ما تحدث لنا هو نفسه عن ذلك، فيقول: التقيته في بيتنا في حلب، أو عند عمي أبو غانم ونحو ذلك، وقد أكثر ابن العديم نفسه من التتلمذ عن أكثر رجلين من أهله أبوه وعمه أبو غانم.

ثم أن والده صحبه للقراءة على الشيوخ، فقد ذكر ذلك كمل الدين فقال: وسمع جماعة من شيوخنا مثل يحيى بن عقيل بن شريف السعدي(١١٨)، وأبي اليمن الكندي وأبي علي الأوقي وأبي عبد الله الدربندي، وجماعة غيرهم، وكان يحضر قراءتي عليهم(١١٩).

ثانيا: إفادة ابن العديم الحلبي من العلماء: تلقى ابن العديم علومه الأولى على يد أبيه وعمه، وكان لأسرته ومكانته العلمية في حلب، وثرائها وصلتها بالحكام المختلفين في حلب، أثر بارز، وتوجت

---

(١١٣) أبو القاسم علي بن الحسين الزينبي الأكمل قاضي القضاة، (٤٧٠-٥٤٣هـ)، تولى عدة مناصب منها نيابة الوزارة ورسولا إلى الأطراف، سمع الحديث من أبيه وعمه طراد وأبي الحسن بن العلاف وسمع منه ابن الجوزي، المنتظم: ١٣٥/١، ابن الأثير: الكامل ، حوادث سنة ٥٤٣هـ، ابن الفوطي: معجم الشيوخ، ٢٤٥/٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ابن العماد: شذرات ِِِِِِِِِِالذهب: ١٣٥/٤.

(١١٤)ياقوت الحموي: معجم الأدباء:٣٧٧٤/٥٢٩٥-٧٥(الموسوعة الشعرية).

(١١٥)ياقوت: معجم الأدباء:٣٧٧٨/٥٢٩٥-٧٩(الموسوعة الشعرية).

(١١٦) بغية الطلب: ٤١٧٢/٩، ترجمة سالم بن هبة الله بن علي بن المبارك بن المجد الحارثي.

(١١٧)بغية الطلب: ٢٠٦/٣، ١٢١١، ياقوت: معجم الأدباء:٣٧٥٠/٥٢٩٥وبعدها (عن الأخبار المستفادة وعن غيره)(الموسوعة الشعرية).

(١١٨)ا بن رفاعة بن العذير أبو الحسن السعدي المصري، سمع من جده لأمه عبد الله بن رفاعة الفرضي، وكان خيرا صالحا، كثير الحج والمجاورة، حدث بدمشق وبالمدينة وتوفي بها سنة ٦٠٧هـ، الذهبي: تاريخ الإسلام(تحقيق عبد السلام تدمري)،٤٠١.

(١١٩) بغية الطلب: ١٢١١.

باحترام ظاهر وتقدير بالغ، انعكس على ابن العديم الذي حظي بالرعاية، فأتاحت مكانة أسرته له أن يلتقي بالعديد من الشيوخ والعلماء الأعلام والرواة والفقهاء، ويحظى بصحبة الكثير منهم سواء كان ذلك بحلب، وفي بيوت عمه وأعلام أسرته الآخرين، أو في بيت والده نفسه، أو في بيته هو، أم كان ذلك من خلال رحلاته الكثيرة إلى البلدان المختلفة.فكان يجلس للعلماء، ويسمع منهم، ويقرأ عليهم أو يسمع القراءة من زملاءه عليهم، وسوف يكون من الصعب الإحاطة بالعلماء الذين التقاهم كمال الدين بن العديم، سواء كان ذلك في حلب أو غيرها، ورغم ذلك لابد لنا من المرور سريعا على عدد منهم، وخاصة أولئك الذين التقاهم وأكثر الرواية عنهم، وأطال المكوث معهم والقراءة عليهم.

وقبل الإنتقال إلى شيوخه لابد من ذكر عمه أبي غانم محمد بن هبة الله، تولى الخطابة بجامع حلب، وعرض عليه القضاء في أيام الملك الصالح إسماعيل بن محمود بن زنكي فامتنع(١٢٠)،ذكر كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم عمه هذا أكثر من ذكره لأبيه، وروى له أكثر منه، وذكر أنه ترجم له في بغية الطلب، إلا أن ترجمته مفقودة في المطبوع(١٢١).

سمى ياقوت الحموي، اربعة من شيوخ ابن العديم قال: وسمع الحديث على جماعة من أهل حلب، والوارد إليها، فأكثر السماع على الشيخ الشريف، افتخار الدين عبد المطلب الهاشمي(١٢٢)، ورحل به أبوه إلى بيت المقدس مرتين.. ولقي بها مشايخ وبدمشق ايضا، وقرأ على تاج الدين أبي اليمن كثيرا من مسموعاته(١٢٣)، وروى ياقوت قولا لابن العديم: قال لي والدي احفظ اللمع حتى أعطيك كذا وكذا فحفظته، وقرأته على شيخ حلب يومئذ وهو الضياء بن دهن الحصا(١٢٤).ثم قال لي: احفظ القدوري حتى أهب لك كذا وكذا الدراهم الكثيرة أيضا، فحفظته في مدة يسيرة وأنا في خلال ذلك أجود، وكان والدي يحرضني على ذلك، ولم أكتب على أحد مشهور إلا أن تاج الدين محمد بن أحمد البرقطي البغدادي(١٢٥) ورد علينا حلب فكتبت عليه أياما قلائل لم يحصل منها طائل(١٢٦).

ومشايخ ابن العديم الذين ذكرهم ياقوت واقتصر فيهم على الأربعة فقط، هم عدد ضئيل جدا بالنسبة للعدد الكبير للشيوخ الذين تتلمذ عليهم ابن العديم، فقد التقى المئات وأخذ عنهم، وفي كتاب بغية الطلب آلاف الروايات التي أخذها مشافهة من الشيوخ إملاء أو تحديثا أو إنباءا أو قراءة عليهم أو سماعا في مجلس قرأ فيه على الشيوخ، وغير ذلك من صيغ السماع المعتمدة عند المحدثين الذين دوّن رواياتهم حسب تلك الصيغ، وأخذ السماعات وفقها وهو على أي حال دون لنا طريقة

---

(١٢٠) ياقوت الحموي: معجم الأدباء: ٣٣/٦.

(١٢١) له في المطبوع من بغية الطلب ثمانية وستين رواية، غير تلك الأقوال الكثيرة التي أوردها له، وكثيرا ما يقول لنا قال لي عمر ونحو ذلك.

(١٢٢)ابن الاثير: الكامل، حوادث سنة (٦١٦هـ)، وابن العماد: شذرات الذهب: ٦٩/٥، وابن قطلوبغا: تاج التراجم ، ٣٦، الطباخ: أعلام النبلاء :٣٤١/٤.

(١٢٣) معجم الأدباء: ٣٨/٦.

(١٢٤)الحسن بن عمرو الحلبي النحوي (ت ٦٠٣هـ)،، أقام بحلب واتخذها دارا وصارله بها أهل وولد، وبقي مدة يقرئ النحو. ياقوت: معجم الأدباء، ٩٧٢/٣، ترجمة رقم (٣٤١).

(١٢٥) محمد بن أحمد بن محمد بن حمزة بن بريك الأنصاري الدسكي المعروف بابن البرقطي (٥٦٦-٦٢٥هـ)،أوحد عصره في حسن الخط المشار إليه في التحرير، تخرج به خلق كثير وأقام بحلب مدة مديدة وعاد إلى بغداد، ياقوت: معجم الأدباء: ٣٩/٦.

(١٢٦) ياقوت: معجم الأدباء: ٣٩/٦، وتحقيق إحسان عباس: ٢٣٩١/٦.

سماع كل رواية، وطريقة وصولها إليه، وطرقها إن تعددت، وصيغة كل طريقة سماع أو إجازة وغير ذلك.

سنقتصر في ذكر شيوخ ابن العديم على الذين زاد عدد الروايات عنهم، في كتابه بغية الطلب، على عشرين رواية إلى المئات من الروايات، مبتدئين بالأكثر إلى الأقل، باختصار قدر الإمكان، حتى لا نخرج بالموضوع عن طبيعة البحث وإمكانية تحمله لكل هذه التراجم، وهذا الذكر سيشمل العلماء الذين التقاهم سواء في حلب أم في المدن الأخرى،أو رحل إليهم أو التقاهم في أماكن متعددة ، وهم نحو ألف شيخ:

- عمر بن محمد بن المعمر بن أحمد بن حسان بن أبي حفص بن أبي بكر المؤدب، ويعرف بطبرزد البغدادي الدارقزي(١٢٧).-أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفض الحرستاني الأنصاري(١٢٨).أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله بن قرجا الدمشقي(١٢٩).-أبو محمد عبد العزيز بن الحسين بن هلالة الأندلسي(١٣٠).-أبو الفضل المرجا بن الحسين بن هبة الله الواسطي

---

(١٢٧) كان يسكن دار القز، ويعمل في بغداد، سمع ما شاء الله أن يسمع على مشايخ بغداد بإفادة أخيه أبي بكر محمد بن محمد، ويكنى أبا البقاء، وعنده بخط أبيه أجزاء كثيرة، توفي سنة ٦٠٧هـ، كان من مشاهير المحدثين في زمانه، كثير الرحلة ترجم له ابن المستوفي، تاريخ أربل: ترجمة رقم (٦٥): ١٥٩/١، ابن خلكان: الوفيات: ١٢٥/٣، ابن قاضي شهبة: ذيل الروضتين: ٧، ابن الأثير: الكامل: ١١٤/١٢، المنذري:التكملة لوفيات النقلة، ٣٣٤/٣، ابن كثير: البداية والنهاية: ٦١/١٣، ابن العماد: شذرات الذهب: ٢٦/٥، ابن حجر: لسان الميزان: ٣٢٩/٤، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان: ٥٣٧/٨، الذهبي: ميزان الاعتدال: ٢٢٣/٣، العبرفي خبر من عبر: ٢٤/٥، دول الإسلام: ٨٥/٢.

(١٢٨) هو القاضي جمال الدين الأنصاري المولود بدمشق سنة ٥٢٠هـ، وتوفي سنة ٦١٤هـ، كان عالما زاهدا وقاضيا عادلا، تولى القضاء حتى وفاته، سمع الحديث على مشايخ دمشق مع ابن عساكر، ورحل في طلبه، وأجازه أبو عبد الله الغراوي، وزاهر بن طاهر، وقاضي المارستان، وابن السمرقندي، كان يقرأ عليه الحديث بجامع دمشق وولي المدرسة المجاهدية، وكانت له حظوة عند الملك العادل بن أيوب، وهو منسوب إلى حرستا من قرى دمشق، السبط: مرآة الزمان: ٥٨٩/٨، ابن قاضي شهبة: ذيل الروضتين: ١٠٦، الذهبي: العبر: ٥٠/٥، السبكي: الطبقات: ١٩٦/٧، ابن العماد: شذرات الذهب: ٦٠/٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٢٢٠/٦، ابن كثير: البداية والنهاية: ٢٤٣/١٣، الأسنوي، طبقات الشافعية، ٢١٨/٢، ابن المستوفي: تاريخ أربل: ١٠٩/١، ١٤٩/٢.

(١٢٩) أبو الحجاج، ثم الحلبي، محدث حنبلي، ولد وتفقه بدمشق، وقام برحلة إلى بغداد وأصبهان وكان أوسع معاصريه رحلة، وأكثرهم كتابة، جمع لنفسه مجمعا عن أزيد من خمسمائة شيخ، روى عنه خلق كثير من شيوخ ابن العديم، وشريكه في الرحلة، سكن حلب وبها التقاه ابن العديم، وحدث بغيرها أيضا، وكثيرا ما حدثنا ابن العديم عن طريقة التلقي عنه، أخرج له في بغية الطلب العديد من الروايات، ويعد ابن العديم من المكثرين عن أبي الحجاج، وهو من شيوخ ابن العديم الذين أكثر الرواية عنهم، ترجمته في: ابن رجب:ذيل طبقات الحنابلة: ٢٤٤/٢، ابن العماد: شذرات الذهب: ٥٤٣/٥، ابن ناصر الدين: التبيان:١٣٦/١،الزركلي: الأعلام: ٢٢٩/٨، مفقودة في بغية الطلب.

(١٣٠) أبو محمد المغربي الأندلسي (ت ٦١٧هـ)، ويعرف بابن هلالة، رحل في طلب الحديث إلى نيسابور وخوارزم وغيرها، وسمع من مشايخها، وحصل جملة من أصولها، ذكره ياقوت :معجم البلدان: ٥١٦/٣، وترجم له ابن الإبار: التكملة لكتاب الصلة:بعة ليبرغ: ٦٣٢/٢، ابن العماد: شذرات الذهب: ٨٧/٥، السبكي: الطبقات: ٢٥/٨، ابن المستوفي: تاريخ أربل: ٢٢٣/١، ٣٨٠/٢، أخرج له ابن العديم في بغية الطلب العديد من الروايات ولكنه ليس من أصحاب الرواية المكثرين بل رواياته في حدود ثلاثين رواية.

بن شعيرة(١٣١).أبو سعد ثابت بن مشرف بن أبي سعد البناء(١٣٢) وأبو الجسن علي بن المفضل المقدسي(١٣٣).أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج الحصري(١٣٤).أبو محمد عبد الرحمن بن علوان الأسدي(١٣٥).أبو علي حسن بن أحمد بن يوسف أبو الأعلى الأوقي(١٣٦).أبو جعفر يحيى بن جعفر بن عبد الله بن محمد بن علي الدامغاني(١٣٧).أبو بكر عتيق بن أبي الفضل السلماني(١٣٨).زين الأمناء، أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر الفنكي(١٣٩).أبو نصر محمد بن هبة الله بن محمد القاضي الشيرازي(١٤٠).أبو المحاسن سليمان بن الفضل البانياسي

---

(١٣١) أبو الفضل بن غزال القزاز الزاسطي، تاجر يحفظ الكتاب العزيز، ترجم له ابن المستوفي ترجمة مطولة في تاريخ أربل: ٣٩٩/١، ولقبه عفيف الدين، ولد بواسط سنة ٥٦١هـ، وقرأ القرآن بالقراءات، وتفقه على المذهب الشافعي، وسمع الحديث، واشتغل بالتجارة، وترامت به الأسفار، ثم إنه شاخ وجلس لإقراء الناس، وعمر دهرا طويلا، وقد حدث بالعراق والشام ومصر، وعاش إلى حدود سنة ٦٥٦هـ، ترجمته في: الذهبي: تذكرة الحفاظ: ١٦٣٩/٤، العبر: ٢٣٦/٥، ابن العماد: شذرات الذهب: ٢٨٥/٥،ابن المستوفي: تاريخ أربل: ٦١٣/٢، أخرج له ابن العديم العديد من الروايات التاريخية، والتقاه في رحلاته العديدة إلى حلب.

(١٣٢) ابن أبي ثابت، أو محمد أبو إبراهيم، الشيخ أبو سعد البغدادي الأزجي، المعمار البناء، ويعرف بابن شستان (٥٣٤-٦١٩هـ)، ترجمته في: المنذري: التكملة: ٣ رقم الترجمة (١٩٠٦)، الذهبي: سير أعلام النبلاء: رقم (١٠٢) العبر: ٦٧/٥، ٧٧، المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي،٢٦٩/١، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٥٤/٦، ابن العماد: شذرات الذهب: ٨٤/٥-٨٥.

(١٣٣) هو أبو الحسن، علي بن المفضل اللخمي الإسكندراني، فقيه مالكي (٥٤٤-٦١١هـ)، رحل في طلب العلم، ثم سكن مصر ودرس بالمدرسة الصاحبية، وصحبه المنذري وتخرج عليه، له عدة تصانيف، ترجمته في: الذهبي: تذكرة الحفاظ: ١٣٩٠/٤، العبر: ٣٨/٥، شذرات الذهب: ١٧/٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٢١٥/٦، ابن كثير: البداية والنهاية: ٦٨/٣، ابن المستوفي: تاريخ أربل: ٤٨٨/٢، ٤٨٩.

(١٣٤) أبو الفتوح، نصر بن أبي الفرج محمد بن علي البغدادي الحنبلي (٥٣٦-٦١٩هـ)، حدث ببغداد ومكة التي جاروها عشرين سنة، ويبدو أن ابن العديم التقاه بها، ترجمته في: ابن رجب: الذيل: ١٣٠/٢،ابن الجزري:غاية النهاية في طبقات القراء:٣٣٨/٢، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٢٥٣/٦، ابن العماد: شذرات الذهب: ٨٣/٥.

(١٣٥) لأخيه أحم ترجمة في بغية الطلب: ٩٢٢/٢، قال ابن العديم: هو شيخنا أبو محمد عبد الرحمن الأسدي الحلبي، وضاعت ترجمته من البغية (٥٣٤-٦٢٣هـ)، مشهور بين الزهاد وهو من أهل الصلاح، ترجمته في ابن العماد: شذرات الذهب: ١٠٨/٥.

(١٣٦) بغية الطلب: ٢٢٨٤/٥، قال ابن العديم: منسوب إلى أبيه شيخ صالح ورع تقي مجتهد في العبادة، اجتمعت به ببيت المقدس.

(١٣٧) أبو جعفر الدامغاني (٥٥٢-٦٣٠هـ)، سمع من أبيه وعمه تركناز بن عبد الله ولقبه المنذري وأخذ عنه، منعوت بالظهير، ترجمته في القرشي: الجواهر المضية في طبقات الحنفية: ٢١١/٢، المنذري: التكملة: ٣٣٩/٣ ترجمة رقم (٢٤٦٠).

(١٣٨) عتيق بن أبي الفضل بن سلامة العدل، أبو بكر السلماني من كبار شهود دمشق، مات سنة ٦٤٣هـ، حدث عنه ابن عساكر وغيره، ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء:٢٢١/٢٣ رقم (١٤٠)، العبر: ١٧٧/٥، تذكرة الحفاظ: ١٤٣٢/٤.

(١٣٩) "فنك" حصن منيع من أعمال قرطبة وإليه ينسب، ولم أعثر له على ترجمة، وإنما ذكره المنذري ترجمة لأبيه أبي محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر عتيق بن إسماعيل الأندلسي القرطبي الفنكي، نزيل دمشق مولده ٥٢٨ ووفاته ٥٩٦هـ، وهو من شيوخ المنذري، انظر: التكملة: ٣٦٠/١ رقم (٥٤٥)، وفنك أيضا حصن آخر منيع من ديار بكر.

(١٤٠) أبو نصر، محمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن يحيى بن بندر بن حميل الشيرازي الأصل الدمشقي المولد والدار، تفقه على مذهب الشافعي، وسمع الكثير من أبي البركات الخضر بن شميل

الدمشقي(١٤١).أبو عبد الله الحسين بن عمر بن نصر بن باز الموصلي(١٤٢).أبو منصور عبد الرحمن بن الحسن الشافعي المقدسي(١٤٣).أبو القاسم عبد الرحيم بن يوسف بن الطفيل الدمشقي(١٤٤).أبو بكر عبد الله بن عمر القرشي(١٤٥).أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش النحوي المعدل(١٤٦).أحمد بن محمد بن أزهر بن عبد الوهاب السباك(١٤٧).عبد البر بن العلاء بن الحسن بن أحمد(١٤٨).أبوالقاسم الحسين بن هبة الله بن محفوظ بن صصري(١٤٩).أبو القاسم عبد الله بن

الحارثي، وأبي طاهر بن الحسن الحصني، وحدث بالكثير في دمشق، وفد مصر وتحدث بها، وانفرد برواية ما يزيد عن مائتي جزئ من كتاب تاريخ دمشق من مصنفه، ترجمته في: أبو شامة: ذيل الروضتين: ١٦٦، الأسنوي: طبقات: السبكي: طبقات الشافعية: ٣٤/٥، ٤٤، ابن كثير: البداية والنهاية: ٢٥١/١٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٣٠٢/٦، ابن العماد: شذرات الذهب: ١٧٤/٥، المنذري: التكملة: ٤٨٠/٣، سبط الجوزي: مختصر مرآة الزمان: ٧٠٩/٨٠-٧١٠.

(١٤١) أبو المحاسن، سليمان بن الشيخ الأجل أبي المجد الفضل بن الحسين بن إبراهيم بن سليمان الحميري الدمشقي العدل المعروف بابن البانياسي، ولد بدمشق، وفيها توفي (٥٥٠-٦١٥هـ)، وصلي عليه بجامعها، سمع من الحافظ أبي القاسم علي بن الحسين، وحدث عنه وعن والده أبي المجد الفضل بن الحسين، ترجمته في: المنذري: التكملة لوفيات النقلة: ٤٢٩/٢٠ رقم (١٥٩٢).

(١٤٢) (٥٥٢-٦٢٢هـ)، ترجمته في الذهبي: العبر: ٨٩/٥، المشتبه في أسماء الرجال،لايدن١٨٩٣: ٢٠، ابن العماد: شذرات الذهب: ١٠٠/٥، ابن المستوفي: تاريخ أربل: ١٨٣/١، ١٨٤ رقم (٨٧) و٣٠٤/٢، الذهبي: المختصر المحتاج إليه: ٣٦/٢.

(١٤٣) ابن عساكر المنعوت بالفخر (٥٥٠-٦٢٠هـ)، تفقه على مذهب الشافعي، وحدث ودرس وأفتى وانتفع به جماعة، وكان مشهورا بالصلاح والعلم، وحدث عنه غير واحد، ابن كثير: البداية والنهاية: ١٠١/١٣، المنذري: التكملة: ١٠٢/٣، ابن الأثير: الكامل: ١٧٢/١٣.

(١٤٤) ثم المصري، عرف بابن أعكس الصوفي (٥٥٥-٦٣٧هـ)، ترجمته في: المنذري: التكملة: ٥٤٦/٣، ٥٤٧، رقم (٢٩٥٧)، الذهبي: العبر: ٥٣/٥، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٣١٧/٦، ابن العماد: شذرات الذهب: ٢٨٤/٥.

(١٤٥) الدمشقي البغدادي (٥٥٨-٦١٦هـ)، حدث ببغداد ودمشق، المنذري: التكملة: ٤٠٨/٤، تاريخ أربل: ٥٥٠/٢.

(١٤٦) ابن الصائغ موفق الدين (٥٥٠-٦٤٣هـ/ ١١٥٥-١٢٤٥م) خرج إلى الموصل للقاء ابن الأنباري في بغداد ولكنه لم يتم له لقاؤه لموته، فعاد إلى حلب معلما بها حتى مات، ترجمته في: ابن خلكان،وفية الأعيان: رقم (٨٠٤)، ياقوت: معجم الأدباء: ٧٧/٣، اليافعي: مرآة الجنان: ١٠٦/٤، ابن العماد: شذرات الذهب: ٢٢٨/٥، السيوطي: بغية الوعاة: ٤١٩، أخرج له ابن العديم عشرين رواية في بغية الطلب.

(١٤٧) أبو محمد الصوفي، المقيم برباط المأمونية (٥٣١-٦١٢هـ)، وهو من أولاد المحدثين، الذهبي: محمد بن أحمد (ت ٧٤٨هـ)، المختصر المحتاج إليه من تاريخ الدبيثي: ١٧٦/١، المنذري: التكملة: ١٨٦/٤، أخرج له ابن العديم في بغية الطلب ثلاثا وأربعين رواية.

(١٤٨) ابن الحسن، الشيخ المسند ابو محمد الهمذاني العطار، تغير عقله ثم ناب إليه قبل وفاته بقليل، توفي سنة ٦٢٤هـ، ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء: تحقيق د. بشار عواد معروف ومحيي هلال السرحان، ط١١، ١٩٩٦: ٢٦٣/٢٢، رقم (١٥٠)، العبر: ٩٩/٥.

(١٤٩)أفرد له ابن العديم ترجمة في بغية الطلب، واجتمع به بدمشق قال ابن العديم: واجتمعت به بدمشق في سنتي ٦١٤ و ٦٠٩هـ، وسمعت عليه أجزاء من الحديث، ثقة مأمون دين حسن الأخلاق، مولده تقريبا سنة ٥٤٠هـ ،وتوفي سنة ٦٢٦هـ، وبلغنا أن شيخنا أبا القاسم الحسين بن صصري توفي سنة ٦٢٦هـ بدمشق. بغية الطلب:٢٧٩٤/٦.

حسين بن رواحة(١٥٠).ابن أبي الحسن، أبو محمد عبد الله بن عمر بن حمويه(١٥١).أبو حفص عمر بن علي بن قشام(١٥٢). أبو محمد عبد الرحمن بن إبراهيم المقدسي بن أحمد الحنبلي(١٥٣).روح بن عبد المعز بن محمد الهروي بن أبي الفضل السني(١٥٤).أبو العلاء أحمد بن شاكر بن عبد الله بن سليمان المعري(١٥٥).أبو يعقوب يوسف بن محمود الصوفي(١٥٦).الحافظ أبو محمد بن العظيم بن عبد القوي المنذري(١٥٧).زين الأمناء أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله بن عساكر(١٥٨).أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم(١٥٩).أبو عبد الله محمد محمد بن إبراهيم بن مسلم الأربلي(١٦٠).المؤيد بن محمد بن علي القوي النيسابوري(١٦١).الحافظ

---

(١٥٠) (٥٦-٦٤٦هـ)، ترجمته في: الذهبي: ميزان الاعتدال: ٣٣٥/١، العبر: ١٨٩/٥، ابن حجر: لسان الميزان: ٢٧٤/٣، ابن العماد: شذرات الذهب: ١٣٤/٥، ابن المستوفي: تاريخ أربل: ٤١٢/١، رقم (٣١٠)، وله ٩٥ رواية في بغية الطلب.

(١٥١) شيخ الإسلام أبو المظفر صدر الدين الدمشقي الكاملي (٥٧٢-٦٥٢هـ/ ١١٧٦-١٢٥٤م).

(١٥٢) الحلبي الدارقطني(٥٤٦-٦٢٣هـ).من أهل التقى بحلب، محلة دار القطن، سمع بحلب من أبي بكر محمد بن ياسر الجياني وغيره، ورحل إلى أصبهان وكان يحضر مجالس العجلي، ترجمته في: المنذري: التكملة: ١٧٦/٣، رقم (٢١٠٢).

(١٥٣) ولد بقرية الساويا من عمل نابلس (٥٥٥-٦٤٤هـ، مات بدمشق، كان كثير الفائدة، قوالا للحق، ذا دين وخير، لا يخاف في الله لومة لائم راغبا في الحديث، ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢٦٩/٢٣، العبر: ٩٩/٥، المختصر: ١٩٤/٢، ابن رجب: الذيل: ١٧٠/٢.

(١٥٤) عبد المعز بن ساعد الساعدي الخراساني الهروي البزاز الصوفي، ولد بهراة، (٥٢٢-٦١٨هـ)، قتلته الترك بها، ترجمته في: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١١٤/٢٢ رقم (٨١)، العبر: ٧٤/٥، ابن العماد: شذرات الذهب: ٨١/٥.

(١٥٥) ابن أبي المجد التنوخي،(أخي أبي العلاء من أهل معرة النعمان، قال ابن العديم:" وكنت ظفرت بسماعه في عدة أجزاء من تاريخ دمشق، وسمعته بقراءة جماعة كانوا معي بحلب "، أورد له ست عشرة رواية في بغية الطلب: ٧٧٨/٢.

(١٥٦) أبو يعقوب المصري الصوفي الساوي، روى عن السلفي، وعبد الله بن بري وتوفي في رجب سنة ٦٤٧هـ، الذهبي: العبر: ١٩٥/٥.

(١٥٧) الحافظ زكي الدين (٥٨١-٦٥٦هـ)، ترجمته في: السبكي: الطبقات: ١٠٨/٥، ابن كثير: البداية والنهاية: ٢١٢/١٣، ابن العماد: شذرات الذهب: ٢٧٧/٥. والأسنوي:طبقات الشافعية: ٢٣٢/٢، له في بغية الطلب ست وأربعون رواية.

(١٥٨) (٥٤٤-٦٢٧هـ)، كان شيخا صالحا يروي الحديث وغيرها عن آل عساكر، كان الناس يسمعون عليه في دار الحديث النورية، وجامع دمشق، ابن قاضي شهبة: ذيل الروضتين: ١٥٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٢٧٥/٦، ابن الفوطي: تلخيص معجم الألقاب:٦٢٢/٤، النعيمي،:الدارس في اخبار المدارس (تنبيه الدارس الى ما في دمشق من المدارس): ١٠٤/١.

(١٥٩) له ترجمة في هذا البحث (٥٣٩-٦٣٢هـ)، ابن المستوفي: تاريخ أربل: ٣٧٦/٢.

(١٦٠) (٥٦٠-٦٣٣هـ)، ترجم له ابن المستوفي: تاريخ أربل: ٢١٤/١ ترجمة (١١٥، ٣٦٦/٢، الذهبي: العبر: ١٣٥/٥، المشتبه في أسماء الرجال: ١٣٧-٣٩٧-٤٨٠، تذكرة الحفاظ: ١٤٢٣/٤، ابن العماد: شذرات الذهب: ١٦١/٥، وترجمته مفقودة في بغية الطلب.

(١٦١) هو أبو الحسن المؤيد... بن الحسن الطوسي المغربي (٥٢٤-٦١٧هـ)، سمع الحديث، وانتهى إليه علوم الأسناد بنيسابور ورحل إليه الناس من الأقطار، ابن خلكان: الوفيات: ٤٢٧/٤، ابن الفوطي: المعجم: ١٠٧٨/٢، الذهبي: العبر: ٧١/٥، ابن العماد: شذرات الذهب: ٧٨/٥.

محيي الدين أبو عبد الله محمد بن الحسن بن النجار البغدادي(١٦٢).أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي القرطبي(١٦٣).أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الرهاوي الحراني(١٦٤).الحرة زينب بنت عبد الرحمن الشعري(١٦٥).أبو النجيب إسماعيل بن عثمان بن إسماعيل(١٦٦).أبو المظفر عبد الرحيم بن أبي سعد السمعاني(١٦٧).أبو العباس أحمد بن عبد الله بن علوان(١٦٨).أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن تاج الأمناء(١٦٩).أبو الفرج محمد بن علي بن حمزة القبيطي الحراني(١٧٠).

وهؤلاء الشيوخ فقط الذين أكثر عنهم ابن العديم الروايات، أما سواهم فأعدادهم أكثر بكثير، فقد أعرضنا عن ذكرهم اختصارا، إلا أن ابن العديم أكد في كتابه البغية إلى تتلمذه على شيوخ، رغم قلة الرواية عنهم، ففي ترجمة خليل بن حمزتكين الحلبي، من فقهاء الإمامية بحلب،ذكر انه لقيه

---

(١٦٢) (٥٧٨-٦٤٣هـ)، ... بن هبة الله بن محاسن بن هبة الله بن النجار أبو عبد الله من طلبة الحديث، كثير الرحلة، ترجمته في: ابن المستوفي: تاريخ أربل: ٣٦٠/١، ٥٦٠/٢، الذهبي: تذكرة الحفاظ: ١٤٢٨/٤، العبر: ١٨٠/٥، ابن كثير :تاريخ: ١٦٩/١٣، الصفدي: الوافي: ٩/٥، ابن العماد: شذرات الذهب: ٢٦٦/٥، الكتبي: فوات الوفيات: ٢٢/٢، اليافعي: مرآة الجنان: ١١١/٤، التقاه ابن العديم وله عنه (٤٥) رواية.

(١٦٣) ثم الدمشقي، إمام الكلاسة وابن إمامها (٥٧٥-٦٤٣هـ، ترجمته في: أبو شامة: ذيل الروضتين: ١٧٦، الذهبي: العبر: ١٧٩/٥، سير أعلام النبلاء: ١٣٥/٢٣، تذكرة الحفاظ: ١٤٣٢/٤، ابن العماد: شذرات الذهب: ٢٢٦/٥.

(١٦٤) (٥٣٦-٦١٢هـ)، ترجم له: ابن المستوفي: تاريخ أربل: ١٣١/١، ٢٠٠/٢، كان صالحا كثير السماع للفقه، ترجم له: الذهبي: تذكرة الحفاظ: ١٣٨٧/٤، العبر: ٤١/٥، أبو شامة: ذيل الروضتين: ٩٠، ابن كثير: البداية والنهاية: ٦٩/١٣، الكناني:الرسالة المستظرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة: ١٠٤.

(١٦٥)ابن خلكان: الوفيات: ٣٤٤/٢ رقم (٢٥١).

(١٦٦) ابن أبي القاسم بن أبي بكر بن عبد العزيز النيسابوري (٥٣٤-٦١٨هـ)، المنذري: التكملة: ٦٧/٣ ترجمة رقم (١٨٦١).

(١٦٧) السمعاني بن محمد بن منصور المروزي الشافعي (٥٣٧هـ)، فقد بعد دخول التتار، صدرا معظما مكملا بصيرا بالمذهب،له أنسة بالحديث، ترجمته: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ١٠٧/٢٢ رقم (٧٧)، المختصر المحتاج إليه: ٢٨/٣، ٢٩، العبر: ٦٨/٥، ميزان الاعتدال: ٦٠٦/٢.

(١٦٨) أبو العباس الأسدي الحلبي، أخو شيخنا أبي محمد عبد الرحمن بن الأستاذ، شيخ حسن صالح زاهد ورع حسن العبادة والدعاء، أقام بمكة عشرين سنة وعاد إلى حلب، كان كثير البر بأمه خدمها بمكة إلى أن ماتت، توفي بحلب سنة ٦١٧هـ، ودفن بالجبيل في التربة المدفون بها والده، بغية الطلب: ٩٢٢/٢.

(١٦٩) أحمد بن محمد بن الحسن بن هبة الله الدمشقي (ت ٦١٠هـ)، خرج لنفسه مشيخة، وكان عالما جليلا، ولي مناصب كبارا، ترجمته: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٢٦/٢٢، العبر: ٣٣/٥، ابن كثير: البداية والنهاية: ٦٦/١٣، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٢١٠/٦، ابن العماد: شذرات الذهب: ٤٠/٥، المنذري: التكملة:٢/ رقم (١٣٠٥).

(١٧٠) أبو الفرج محمد بن علي بن حمزة بن فارس بن القبيطي البغدادي الكاتب (٥٢٨-٦٠٩هـ)، قال ابن النجار: قرأت عليه كثيرا وكان صدوقا مرضيا، الذهبي : سير أعلام النبلاء: ١٠٩/٢٢، العبر: ٣٢/٥: المختصر المحتاج إليه: ٩٩/١، الصفدي: الوافي بالوفيات: ١٥٨/٤-١٥٩، المنذري: التكملة: ٢/ رقم (١٢٤٣).

مرارا وقرأ عليه، وأذن له في الرواية عنه (١٧١)،و ذكر الحسين بن مبارك بن محمد أخا شيخه أبي علي الحسن بن المبارك)(١٧٢)، إلى آخره من الروايات الكثيرة في كتابه الذي فصل لنا فيه أخبار العديد من شيوخه، وهو أمر يدل لنا بكل وضوح عن سعة رحلاته، وكثرة من لقي من الشيوخ.

فإن ابن العديم من العلماء المكثرين، واسعي الاطلاع، كثيري الرواية، متعدد المعارف، درس علوما متعددة، وأتقن فنونا مختلفة، تحت رعاية والده، وأعلام أسرته الآخرين وكثيرا ما أشار مترجموه إلى سماعه من أبيه وعمه أبي غانم، وابن طبرزد والكندي والحرستاني والافتخار وسمع جماعة كثيرة بدمشق وحلب والقدس والحجاز والعراق وغيرها.

وأفاد كثيرا من العلماء والرحالين في طلب الحديث، وخاصة أولئك الذين دخلوا حلب وأقاموا فيها متعلمين ومعلمين، ونزلوا ضيوفا على أعلام أسرة ابن العديم، لينتهز الفرصة ويتتلمذ عليهم، ويحضر مجالسهم، ولم يكتف ابن العديم بذلك، بل خرج للعلماء الداخلين إلى حلب والتقاهم في الطريق، أو المدائن الأخرى القريبة من حلب، وتعد في مدائنها كحران ونصيبين ومعرة النعمان والرقة وحماة وغيرها وأخذ عنهم في مدن أخرى(١٧٣).

ثالثا:رحلات ابن العديم الحلبي وأسفاره:من الصعب الإحاطة برحلات ابن العديم وأسفاره لتعددها وتشعبها وتعدد أسبابها، ولأن الجزء الكبير من كتاب بغية الطلب لا يزال مفقودا، وهو ابرز المؤلفات التي احتفظ بمعلومات وافية عن رحلاته وأسفاره، ثم إن ابن العديم رحل لأمور عديدة سياسية وعسكرية، ومهمات دبلوماسية منها السري، ومنها السياسي، ومنها لإقامة الأحلاف وعقد المعاهدات، ومنها العلمي وحضور مجالس العلم ولقاء الشيوخ وغيرها.

وقد وجدنا بين ثنايا تراجم كتابه بغية الطلب إشارات مختلفة لهذه الرحلات وطبيعتها غير أنه لم يفرد لهذه الرحلات، فجاءت الإشارة إليها موزعة هنا وهناك في كتابه. وبلا شك نعرف أن ابن العديم رحالة كثير الرحلة، سافر لملوك بلده للبلدان المجاورة، في مهام متعددة، أفاد من كل هذه الرحلات علما ومعرفة ودراية وخبرة، فاتصل بملوك الشام المختلفين، والجزيرة وآسيا الصغرى، وسلاطين القاهرة وخلفاء بغداد.

لقد أفاد ابن العديم في رحلاته هذه الكثير، ووصل إلى مصادر علمية يصعب على غيره أن يصلها، واحتفظ بها ودوّن الكثير منها في كتابه بغية الطلب، ولو بقي ذلك الكتاب كاملا لأفادنا فائدة جمة ربما لا تجدها في غيره على الإطلاق، لأن ابن العديم من القلائل المخضرمين الذين عاشوا الغزو التتري الفضيع للعالم الإسلامي، وعاشوا بعده. لقد استطاع بان العديم أن يدون لنا الكثير من العلوم التي نالتها يد الضياع والذهاب والحرق والتدمير على يد المغول، لقد كان لابن العديم مكانة علمية وسياسية مكنته من الوصول إلى العلوم الكثيرة، والمصادر والوثائق النادرة في مكتبات السلاطين والخلفاء والعلماء والملوك في ذلك العصر مع همة عالية وأمانة نادرة، ربما لم تقع لغيره، حيث تمكن من لقاء العلماء والشيوخ وحضور مجالسهم والأخذ عنهم ومذاكرتهم والإملاء عنهم(١٧٤).

---

(١٧١) بغية الطلب: ٣٣٧٧/٧.
(١٧٢) نفسه: ٢٧٣٥/٦.
(١٧٣) ينظر: ياقوت: معجم الأدباء: / ١٦، ٣٠، ٣١.
(١٧٤) الصفدي: الوافي بالوفيات: ١٢٦/٣.

بدأت رحلات ابن العديم بصحبة والده، إلى بيت المقدس، ودمشق ،كما سبق ان ذكرنا، وعمره ستة عشر عاما، ذكر تلك الرحلة ابن العديم نفسه في ترجمة شيخه زيد بن الحسن الكندي)(١٧٥).

ذكر ابن العديم رحلتة إلى قلعة (الرواندان)(١٧٦)، عند الملك الصالح أحمد بن الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب.. فحكى له.. واجتمع بالوزير أبي الحسن علي بن يوسف القفطي(١٧٧).

وكذلك رحلته للملك الأشرف(١٧٨)، الذي كان قد سير من حران يطلب رؤيته حين وقف على خطه فأراد رؤيته فقدم عليه، فأحسن إليه وأكرمه وخلع عليه وشرفه، فصنف له كتاب ضوء الصباح في الحث على السماح(١٧٩).

ورحل أيضا إلى مصر سنة٦٤٤هـ، فاجتمع إليه الشعراء والوزراء والعلماء والملوك، ذكر هذه الرحلة ابن سعيد المغربي(١٨٠)، حيث قال عند ذكر الشاعر الجزار: (أنشدني لنفسه قصيدة رفعها إلى ابن العديم، عند قدومه إلى مصر في سنة أربع وأربعين وستمائة، واتفق له من الامتناع للوصول مسلما عليه، ما جرت به هنالك العادة)، وذكر ابن سعيد مثول الجزار بين يديه (وقد حضر بين يدي الصاحب الكبير كمال الدين بن أبي جرادة مودعا، حين أزف رحيله.. فاتفق أن وجه سلطان مصر إلى الصاحب جزءا من التمر الذي يصل من أعلى الصعيد في المركب بزيادة النيل، على وجه البركة.. فقدمه لمن حضر).ويبدو أن مرتبة سفارة ابن العديم كانت رفيعة حيث طبقت له المراسيم، وقدمت له الهدايا من السلطان، وأمنت له الحماية ، وكانت تأتيه الهدايا فيوزعها كما يشاء.

رابعا: مكانة ابن العديم الحلبي في الدولة الأيوبية :في ترجمة داود بن عيسى الملقب بالملك الناصر بن الملك المعظم بن الملك العادل(١٨١)، اشار ابن العديم الى وجود شبكة واسعة من العلاقات له مع الملوك الأيوبيين،والى دور بارز له في علاقاتهم، فحين تولى الملك الناصر دمشق في سنة ٦٢٤هـ

---

(١٧٥) بغية الطلب: ترجمة زيد بن الحسن بن زيد الكندي: ٤٠٠٢/٩.

(١٧٦)قلعة حصينة، وكورة طيبة معشبة من نواحي حلب ياقوت: معجم البلدان: ١٩/٣. وقال ابن العديم: قلعة صغيرة في رأس جبل عال متفرد في مكانه، لا يحكم عليها منجنيق، ولا يصل إليها نبل ولها ربض صغير في لحف جبلها، وهي من أقوى القلاع وأحسن البقاع، ويحد بالقلعة وادي من جهة الغرب والشمال هو كالخندق، وفيه نهر جار، وصعدت إلى هذه القلعة راكبا فوجدت مشقة عظيمة، لعلوها وضيق المسالك إليها. بغية الطلب: ٣٢٤/١.

(١٧٧)زبدة الحلب: ٢٢/١.

(١٧٨) هو موسى العادل بن أبي بكر محمد بن أيوب مظفر الدين أبو الفتح، من ملوك الدولة الأيوبية بمصر والشام، أول من ملك الرها، سيره إليها والده من مصر سنة ٥٩٨هـ، ثم اضيفت إليها حران، وملك نصيبين الشرق سنة ٦٠٦هـ، وأخذ سنجار والخابور سنة ٦١٧هـ، ثم اتسع ملكه بعد موت أخيه الملك الأوحد أيوب، فاستولى على خلاط وميافارقين، وما حولهما سنة ٦٠٩، وجعل إقامته بالرقة وجرت له مع ملك الروم وقائع، ثم نزل للكامل عن بعض ممتلكاته، وأخذ منه دمشق سنة ٦٢٦هـ وسكنها، مولده بالقاهرة، وقيل بقلعة الكرك، ووفاته بدمشق، كان شجاعا حازما كريما موفقا في حروبه وسياسته، ومن آثاره دار الحديث بسفح قاسيون، ترجمته في: ابن طولون:القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية:٩٥/١، ابن خلكان: الوفيات: ١٣٨/٢، وأبو شامة: ذيل الروضتين: ١٦٥، سبط بن الجوزي: مرآة الزمان: ٧١١/٨، ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٧٠٠/٦، النعيمي: الدارس في تاريخ المدارس: ٢٩٢/٢.

(١٧٩) ياقوت: معجم الأدباء: ٤٠/٦.

(١٨٠) المغرب في حلى المغرب،(طبعة ليدن)، ١٨٩٩: ١٥٩.

(١٨١) بغية الطلب في تاريخ حلب: ٣٤٥٣/٧.

، بعد وفاة والده الملك المعظم، وقصده عنه الملك الكامل فسير إلى عمه الملك الأشرف سنجار، قال ابن العديم: (وكنت رسولا عند الملك الأشرف بسنجار)(١٨٢)، وحين تم الصلح وسلمت دمشق للملك الأشرف في سنة ست وعشرين وستمائة قال ابن العديم: (وكنت نازلا بظاهر المزة حينئذ).وحين أخرج الناصر داود من الصلت وذهب إلى حلب، وخرج الملك الناصر يوسف وتلقاه إلى قرنيبا(١٨٣)، قال ابن العديم: (وكنت معه)، وأنزله في دار قيصر الطاهري بالحاضر وتنقلت الأحوال بالملك الناصر داود حين سجن (بالبويضا)(١٨٤)، في دار كانت لعمه مجير الدين يعقوب بن الملك العادل (واجتمعت به فيها غير مرة).

وذكر ابن العديم أيضا أنه التقى الملك الناصر، بنابلس في أرض بلاطه، (وقد كان خرج إلى لقائي، وقد توجهت رسولا إلى مصر)(١٨٥).

وفي خروج الملك الناصر داود والصالح أيوب إلى مصر لأخذها من يد الملك العادل قال ابن العديم: (وخرج العادل إلى بلبيس في عسكر كثيف، وكنت إذ ذاك عنده رسولا بالقاهرة)(١٨٦)، فقبض العسكر على العادل وتسلم الصالح أيوب الديار المصرية، ثم بعد اندحار القوى المتحالفة ضد الملك الصالح أيوب طلب الصالح حلف الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز صاحب حلب، وتحالفا وخرج العسكر الحلبي للقاء العسكر المصري، في حصار دمشق وقال ابن العديم: (وكنت أنا الرسول إلى مصر في المحالفة)(١٨٧)، ثم حين هرب الملك الصالح إسماعيل وقدم حلب مستجيرا بالسلطان الملك الناصر ابن العزيز وملقيا نفسه إليه، فأنزله بدار جمال الدولة، وجعل عليه توكيلا طلبا لرضا الملك الصالح أيوب، قال ابن العديم: (وسيرني رسولا إلى مصر أشفع في إسماعيل فلم يجب إلى ذلك)(١٨٨)، وفسد ما بين الملك الناصر وبينه بسبب ذلك.

وعن الصلح بين الناصر سلطان حلب والصالح إسماعيل قال ابن العديم:)وسيرني إليه واستحلفته يوم الإثنين ثامن عشر ذي القعدة، وخلع عليه، وأقطعه إقطاعا حسنا).

وهكذا نجده في الدولة الأيوبية محل ثقة الجميع، يرسلونه بأخص شؤونهم، بل هو الرسول المفضل في عقد الصلح وإقامة الأحلاف والمعاهدات بين الملوك الأيوبيين، وخاصة ملوك حلب الذين ظل ابن العديم رسولهم المفضل دائما حتى نهاية الدولة الأيوبية في حلب.

وسفر ابن العديم لملوك بلده حلب في أمور خطيرة، ومهام سياسية كثيرة، وكان غرض هذه السفارات لتحفيز الهمم لمواجهة التتار. ففي سنة ٦٥٤هـ، توجه كمال الدين المعروف بابن العديم رسولا من الملك الناصر يوسف صاحب الشام، إلى الخليفة العباسي المستعصم(١٨٩).تحدثت المصادر عن إكرام الخليفة لابن العديم حتى قيل له: (نحن نعظم الرسل لأجل مرسليها، ونحن نعظم مرسلك لأجلك)(١٩٠).

---

(١٨٢) بغية الطلب: ٣٤٥٣/٧.
(١٨٣) مشهد من شرقي حلب، ابن شداد:الأعلاق الخطيرة: ٤٦.
(١٨٤) بغية الطلب: ٣٤٥٥/٧.
(١٨٥) بغية الطلب: ٣٤٥٥/٧.
(١٨٦) نفسه: ١٨٠٩/٤.
(١٨٧) نفسه: ١٨١٠/٤.
(١٨٨) المصدر نفسه.
(١٨٩) ابن العديم: زبد الحلب: ١٩/١.
(١٩٠) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: ٥١٠/١.

في حوادث سنة ٦٥٧هـ، ذكر ابن كثيرقدوم القاضي الوزير كمال الدين عمر بن العديم بن أبي جرادة إلى الديار المصرية رسولا من صاحب دمشق الناصر بن العزيز يستنجد المصريين على قتال التتار وان قدومهم قد اقترب إلى الشام وقد استولوا في السنة المذكورة على بلاد الجزيرة وحران وغيرها(١٩١).

فلما وصل ابن العديم عقد المظفر قطز مجلسا بين يدي المنصور بن المعز التركماني، وحضر قاضي مصر بدر الدين بن السنجاري، والشيخ عز الدين بن عبد السلام، وتفاوضوا بأخذ شيء من أموال العامة لمساعدة الجند(١٩٢).

يفصل ابن تغري بردي، أخبار اجتماع ابن العديم بالملك المظفر، والمكانة التي حظي بها في مصر، عند السلطان. وكيف أجابوه بالموافقة على خلع المنصور علي بن المعز أيبك لأنه صبي وسلطنة المظفر قطز فقال: (فجمع قطز كمال الدين بن العديم الحنفي وغيره من الأعيان والأمراء بالديار المصرية وعرفهم أن السلطان صغير، ولابد من أن يقوم بالملك رجل شهم يطيعه الأمراء، وينتصب للجهاد فأجابه الجميع ليس لها غيرك)(١٩٣). ولعل شهرة ابن العديم سبقته إلى مصر، وهكذا يحضر أهم مجلس استشاري في دولة المماليك ويكون لرأيه أهمية خاصة، ويحظى عند المماليك بهذه الأهمية، وهذا ما زاد مكانته عند الملوك بين الدول، في الساعات الحرجة من تاريخ الأمة الإسلامية، والتتار البرابرة على أبواب الشام يهددون حاضرة الشام وينذرونها بمصير كمصير بغداد.

وفي أخبار المراسلات بين الناصر يوسف صاحب الشام آخر ملوك الأيوبيين، فإن الملك المظفر قطز ارسل رسالة جوابية إلى الناصر بدمشق صحبة الصاحب كمال الدين، يعده بالنجدة وإنفاذ العساكر إليه (١٩٤).

وصلت أخبار مكانة ابن العديم،على مايبدو، إلى مسامع التتار، فأرادوا التقرب إليه، فأرسل هولاكو منشورا له بتفويضه قضاء الشام،ذكر نصه اليونيني(١٩٥)، فقال: (وفي السادس والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة جاء منشور من هولاكو للقاضي كمال الدين عمر بن العديم بتفويض قضاء القضاة إليه بمدائن الشام والموصل وماردين وميافارقين، والأكراد وغير ذلك، وتفويض جميع الأوقاف إلى نظره، ووقف الجامع وغيره، ولكن ابن العديم أبى خيانة أمته والتآمر عليها).

إن أغلب ما أوردناه لابن العديم هو الرحلات السياسية والدبلوماسية،لكن هذه الرحلات مع طبيعتها المعروفة، إلا أن ابن العديم التقى خلالها بالشيوخ والقراء وأخذ عنهم وحضر مجالسهم، وكتب من إملاءاتهم، وسمع ما يقرأ عليهم، وله لقاءات عديدة مع علماء بغداد التقاهم خلال سفراته إليها، وأخذ منهم.

لم تشغل الواجبات العامة والرحلات الكثيرة ابن العديم عن التأليف ، كان إذا سافر ركب في محفة تحمله بين بغلين يجلس فيهما ويكتب، لذلك خلف كتبا عديدة جليلة.

خامسا: توثيق ابن العديم الحلبي ومكانته العلمية:يبدو من تراجم المؤرخين لابن العديم عمر بن أحمد بن أبي جرادة، أنه فوق الشبهات، وأنه أكبر من أن يتهم، ولا أعرف أحدا اتهمه بخلق أو

(١٩١) ابن كثير: البداية والنهاية: ٢٢٨/٧.
(١٩٢)ابن كثير: البداية والنهاية: ٢٢٨/٧.
(١٩٣) النجوم الزاهرة: ٦٥٥/٧.
(١٩٤) نفسه، حوادث سنة ٦٧٥هـ: ٧٣/٧.
(١٩٥) ذيل مرآة الزمان: ٣٥٠/١.

سوء، قال عنه ابن عساكر(ت٥٣١هـ): (عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة.. كان محدثا حافظا مؤرخا، صادقا فقيها، مفتيا بليغا... وله في الحديث كتاب ضوء الصباح في الحث على السماح، صنفه للملك الاشرف موسى بن العادل ملك حران)(١٩٦).وقال عنه ياقوت(ت٦٢٦هـ): (وقرأ حديث الرسول، وعرف علله ورجاله، وتأويله، وفرعه واصوله، وهو مع ذلك قلق البنان، جواد بما تحتوي اليدان وهو كاسمه كمال في كل فضيلة)، فضلا عن ذلك كله فهو محل الترحيب والاحترام والتقدير أينما حل، ولذلك تجده في أهم الأخطار، وأفدحها بين قادة المسلمين وأمرائهم يشارك برأيه وصبره الذي هو محل المثل والقدوة.

لقد كان في مجلس قطز(١٩٧)، ورأى المجلس أن سلطانهم القائم طفل صغير، (ولابد للناس من سلطان قاهر ليقاتل عن المسلمين عدوهم، وهذا صبي صغير لا يعرف تدبير المملكة)، والرجل محل ثقة الجميع، الناس من حوله والملوك والسلاطين كلهم يستشيره ويحترم رأيه، ثم عاد إلى دمشق مجاهدا ومقاتلا.

لقد بلغ ابن العديم بعلمه وثقه الناس بدينه وذكائه وجده، منزلة فريدة، ومكانة محسودة وقد أصبح من الوجاهة بحيث كان محط الأنظار يقصده العظماء ويحج إليه الكبراء ويفد إليه الشعراء، لقد أرسل الكتاب إليه رسائلهم، وأهدى إليه المؤرخون كتبهم، وظلت خزانته عامرة بكل ذلك.

لقد صور لنا ياقوت مكانته عند ملوك بني أيوب في حلب نقلا عن كتابه الأخبار المستفادة في ذكر ابن أبي جرادة،كما سبق ان ذكرنا، فقال: (وكان الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب رحمه الله، كثير الإكرام لي، وما حضرت مجلسه قط فما اقبل على أحد إقباله علي مع صغر السن).

وسير إليه الملك الأشرف موسى ملك حران وقد سمع به ووصلت إليه شهرته ووقف على خطه أراد رؤيته فطلبه من حلب فقدم عليه فأحسن إليه وأكرمه، وخلع عليه وشرفه(١٩٨).

ونجد مكانته البارزة بين الشيوخ والأمراء والعامة لا تخفى، فقد شارك بنو العديم مع أهل حلب مرات كثيرة في مواجهة الفرنج وتطوعوا في ذلك، وعرضوا أنفسهم للمهالك ليردوا عن حلب وأهلها كما فعل أحد أجداده حينما خرج سرا من حلب خلال حصار الفرنج ودبيس بن صدقة لها ليستنجد بقسيم الدولة آق سنقر بالموصل، لينجد أهل حلب ويسارع في فك الحصار عنها، وكذلك شهرة قضاة بني العديم في العفة والنزاهة، جعلت عمر بن العديم الصاحب، قريبا من العامة، كما هو قريب من الأمراء والملوك، وقريبا من العلماء الذين التقاهم في كل مكان ورحل إليهم ورحلوا إليه، والتقاهم في

---

(١٩٦) فوات الوفيات: ١٢٦/٣، ترجمة رقم (٣٧٢).

(١٩٧) قطز بن عبد الله ، من أكبر مماليك المعز بن أيبك التركماني، وكان مدبر دولة ابن أستاذه الملك المنصور علي بن المعز أيبك، فلما دهم التتار بلاد المسلمين رأى أن الوقت يحتاج إلى سلطان مهيب، فعزل الصبي وتسلطن وتم له ذلك في أواخر سنة سبع وخمسين وستمائة، فلم يبلع ريقه حتى امتلأت الشام بالتتار، فتجهز للجهاد وأخذ أهبة الغزو، والتف إليه عساكر الشام فبايعوه، وسار بالجيوش، فعمل المصاف مع التتار على (عين جالوت)، وعليهم كتبغا، فنصره الله عليهم وقتل مقدمهم، وسار وراءهم إلى أن طردهم من الشام، ودخل قطز إلى دمشق، فأحسن إلى الرعية وأحبوه، فاستناب على البلد علم الدين سنجر الحلبي، ورجع بعد شهر إلى القاهرة، فقتله بيبرس بن الغرابي والصالحية، ودفن بالقصير سنة ٦٥٨هـ، ترجمته في: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة: ٧٢/٧، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب: ٢٩٣/٥، الذهبي: العبر: ٢٧٤/٥، اليونيني: ذيل مرآة الزمان: ٢٨/٢-٢٩، الكتبي: فوات الوفيات: ٢٠١/٣.

(١٩٨) معجم الأدباء: ٣٩/٦-٤٠.

الرحلة وزاروه في بيته، كما زراهم في بيوتهم، لقد دلت رواياته في بغية الطلب عن أكثر من ألف شيخ، وعن علاقات طويلة واسعة مع علماء عصره جميعا، دلت على مكانة سامية تمتع بها ابن العديم بين أقرانه وعلماء عصره وعامتهم على السواء، وتلك سمة فريدة قلما تتوفر لقضاة زمانه وعلمائهم.

قال اليونيني(ت٧٢٦هـ): (كان واحدا من الفضلاء وسيد النبلاء، ورئيس الرؤساء وسيد الوزراء، سفير الخلافة المعظمة، وكان مع فضيلته وعلو منزلته ورتبته، لينا متواضعا، حسن المحاضرة كثير الإفادة.. كان جليل القدر كثير العلوم ولم يكن من رؤساء حلب مثله) (١٩٩)، فهو في نظر معاصريه قمة سامية الأخلاق والقيم والعلم ومحل احترام علماء عصره وعامتهم.

لقد منحته هذه الثقة والمكانة ثقة الحكام والأمراء والملوك، الذين ما فتئوا يستشيرونه ويتحاكمون إليه في خصوماتهم، ويدخلونه في حل نزاعاتهم الكثيرة، التي نشبت بين ملوك الدولة الأيوبية المتأخرين، لقد نأت حلب عن تلك الصراعات بفضل الإدارة الجيدة التي تمتع بها ملوكها والعلاقات الجيدة التي بنوها مع الآخرين، وخاصة بعد الملك غازي بن صلاح الدين الذي فوض الملك لأبناء ضيفة خاتون التي هي شقيقة ملوك بني أيوب المجاورين لحلب –أبناء العادل شقيق صلاح الدين– مما أراح حلب من أن تمتد أعينهم لملك ابن أختهم إلا أن هذا لم يمنع أبناء حلب أن يتدخلوا في تلك الصراعات لسبب أو لآخر، وعلى رأس هؤلاء ابن العديم الذي تدخل سفيرا ومستشارا، وأحيانا مصلحا وناصحا في هذه الصراعات، لذلك علت مكانته وانتشر ذكره، وشاع خبره، حتى أن الخليفة نفسه قد قرر له هذه الثقة والمكانة، لقد قال له يوما: (نحن نعظم الرسل لأجل مرسلها، ونعظم مرسلك لأجلك)، وهذه شهادة لا تعدلها شهادة بفضله وعظمته ومكانته، وثقة بدينه وصحة عمله وقوله.وهو مع ذلك كثير التواضع لين الجانب، حسن الملتقى والبشر بسائر الناس(٢٠٠).

وصفه من عرفه بـ(أنه سيد الفضلاء، وسيد النبلاء، ورئيس الرؤساء، وسيد الوزراء، وكان مع فضيلته، وعلو منزلته ورتبته، لينا متواضعا، حسن المحاضرة، كثير الإفادة)(٢٠١). وقال الكتبي: (كان عديم النظير، فضلا ونبلا وذكاء ودهاء، ومنظرا ورواء وجلالة ومهابة)(٢٠٢)، على أن هذه المكانة العالية والأعمال الجليلة التي أسندت إليه لم تشغله عن التأليف والكتابة.

وكذلك فإن ابن العديم شاعر مطبوع صادق، نظم وأبدع، وفاق أقرانه من شعراء العصر، ولكن ابن العديم ظل عفيفا في شعره كما هو في نفسه، صادقا محترما لدينه وقيمه وأخلاقه وواقعيته، يقول في الغزل:

وأهيف معسول المراشف خلته وفي وجنتيه للمدامة عاصر
خلوت به من بعد ما نام أهله وقد نامت الجوزاء والليل ساتر
فوسدته كفي وبات معانقي الى أن بدا ضوء من الصبح سافر
فقام يجر البرد منه على تقى وقمت ولم تحلل لإثم مآزر
كذلك أحلى الحب ما كان فرجه عفيفا ووصل لم تشفه الجرائر(٢٠٣)

(١٩٩) ذيل مرآة الزمان: ٥١٠/١.
(٢٠٠)ابن الوردي: تتمة المختصر في اخبار البشر: ٣٠٨/٢، الهيب،الحرك الشعرية:٢٤٨.
(٢٠١) اليونيني: ذيل مرآة الزمان: ٥١٠/١.
(٢٠٢) فوات الوفيات: ١٢٧/٣.
(٢٠٣) المصدر نفسه: ١٢٨/٣.

ظل ابن العديم في الشام حتى اندحار التتار عنها. ذكر ابن تغري بردي(٢٠٤) أن ابن العديم توجه رسولا من قطز ،كما ذكرنا سابقا،ومعه قاضي القضاة أبو محمد الخضر بن الحسن برهان الدين السنجاري ، فوصلا دمشق وأديا الرسالة، وذكر أن السنجاري ظل في دمشق حتى رحيل الملك الناصر عنها، على أننا نجد أن ذكر ابن العديم ظل في بلاد الشام خلال معركة (عين جالوت)، كما ذكر ابن كثير(٢٠٥)، وبقي فيها حتى انجلاء التتار عن دمشق، وظل يقوم بدور في المراسلات بين جند الشام وجند مصر وبعد اندحار التتار غادر دمشق إلى القاهرة.

عاد ابن العديم الى حلب ثانية فوجدها خرابا بفعل الغزو التتري،بعد أن كانت عامرة،فرثاها بألم وحرقة،بعد تحريرها من قبل الجيش العربي الإسلامي فقال:

هو الدهر ما تبنيه كفاك يهدم — وإن رمت أنصافا لديه فتظلم
غداة أتاها للمنية بغتة — من المغل جيش كالسحاب عرمرم
وقد درست تلك المدارس وارتمت — مصاحفها فوق الثرى وهى ضخم
وكل مهاة قد أهينت سبية — وقد طالما كانت تعز وتكرم
فيا (حلبا) أنى ربوعك أقفرت — وأعيت جوابا فهى لا تتكلم
أنوح على أهليك فى كل منزل — وأبكى الدجى شوقا وأسأل عنهم(٢٠٦)

ولكنه مع ذلك لم يستطع المكوث في حلب فرجع إلى القاهرة حزينا، ولم يلبث أن وافته المنية فيها في العشرين من جمادى الآخرة سنة ٦٦٠هـ، ودفن بظاهرها بسفح المقطم، وشاع خبر موته سريعا، فبكته مصر كما بكته الشام، التي صلت عليه صلاة الغائب(٢٠٧). وهكذا ختمت حياة عاطرة، عامرة بالمجد مترعة بالجد، خلفت لحلب والشام ذكرا لا يبلى وفخرا لا ينقطع.

إن الثقة والمكانة التي تمتع بها ابن العديم في جيله، جعلته ينظر إلى ثقل المسؤولية الكبيرة الذي تحمله تجاه أمته وبلده وشعبه، لذلك نجده يستشعر هذه المسؤولية سواء كان ذلك في الدفاع عنها، أو حمايتها من يد العدوان والغدر، وكان ثقل هذه المسؤولية واضحا سواء كان ذلك في مستوى عمله خلال غزو التتار أم خلال الإعداد لمواجهته وتدميره.لقد كان ابن العديم قدوة ومثالا حسنا في كل ذلك، لقد حاول التتار أن يستثمروا المكانة التي كان يتمتع بها ابن العديم، لإضفاء الشرعية على الاحتلال والغزو.ولكن ابن العديم أبدا لم يخن هذه الثقة، ولم يتنازل عن مبدأه، ولم يتخل عن مكانته أبدا، وظل وفيا لأمته ولدينه ولبلده، إلى أن لقي ربه راضيا مرضيا([٢٠٨]).

(٢٠٤)النجوم الزاهرة: ٧٣/٧.
(٢٠٥) البداية والنهاية: ٢٤٩/١٣.
(٢٠٦) الطباخ: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء: ٢١٣/٢.
(٢٠٧) اليونيني: ذيل الزمان: ٣٥٠/١. أبو شامة: ذيل الروضتين: ٣١٧.
(٢٠٨)مراعاة لشروط النشر ستنشر تتمة هذا البحث في عدد قادم من اعداد المجلة .